



مدخل إلى حقيقة الثالوث

مراجعة وتقديم

د / موريس تاوضروس

استاذ العهد الجديد بالكلية الأكليريكية

اعداد

القس ابراهيم القمص عازر

كنيسة الأنبا انطونيوس والأنبا بولا - بني سويف

معيد بالكلية الإكليريكية - بدير المحرق



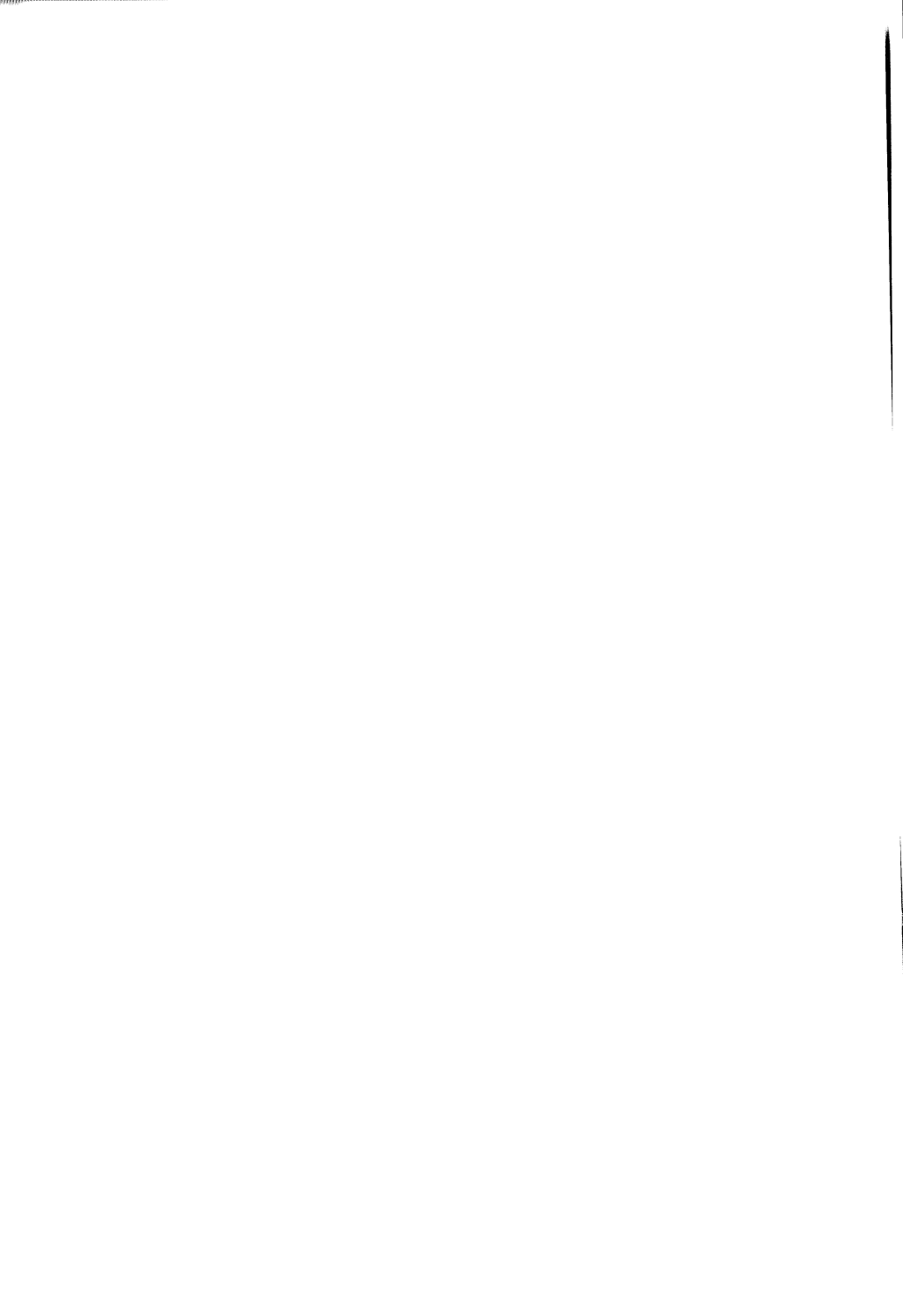
مدخل إلى حقيقة الثالوث

إعداد

القس ابراهيم القمص عازر

كنيسة الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس ببني سويف

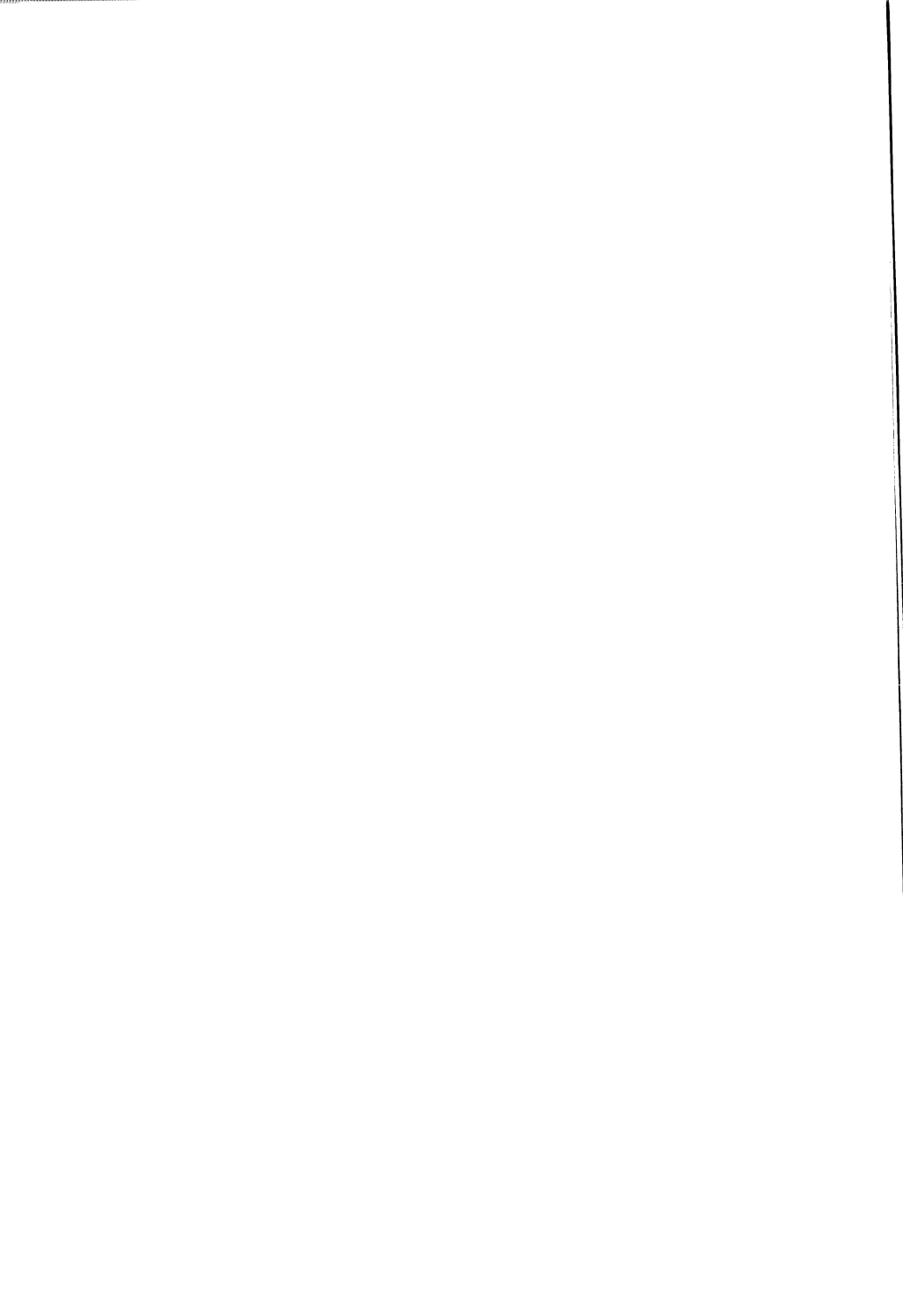
معهد بالكلية الأكليريكية بدير المحرق

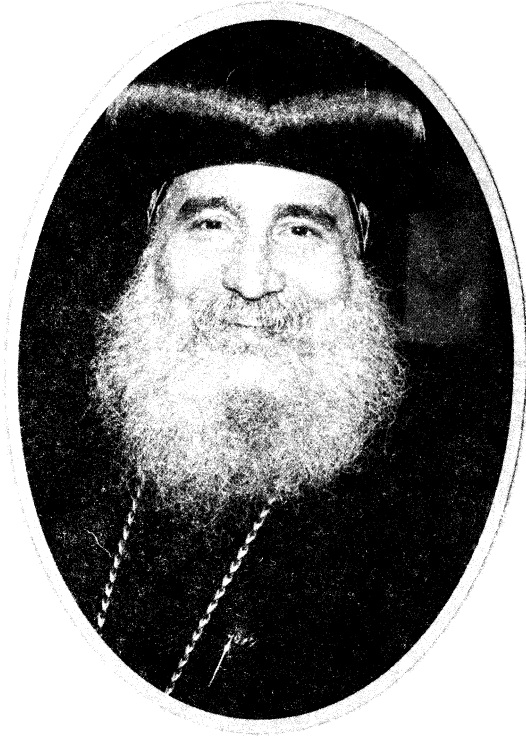




قداسة البابا المعظم
الأنبا تواضروس الثاني

(١١٨)





نيافة الحبر الجليل
الأنبا غبريال
أسقف إيبارشية بني سويف

اسم الكتاب: مدخل إلى حقيقة الثالوث

المؤلف: القس ابراهيم القمص عازر

الطبعة: ٢٠١٥ م

المطبعة: إنسبيراشن للطباعة والنشر

رقم الايداع: ٢٠١٥ / ١٩٣٣٤



الفهرس والمحتويات

٩	نقدیم للدكتور / موريس تاووضروس
١٠	مقدمة للكاتب
١٦	أولاً: الثالث إعلان سرى
١٩	١ مفهوم السر
٢٦	٢ حدود العقل
٣١	٣ عجز اللغة
٣٦	٤ حتمية الإعلان الإلهي
٣٨	ثانياً: الثالث إعلان شخصي
٤٠	١- الله مَحَبَّةٌ
٤٦	٢- الله شخص
٥٤	ثالثاً: الثالث إعلان متكامل
٥٥	المحور الأول: لماذا الإعتقاد بالتعارض
٦٦	المحور الثاني: أساس التكامل بين الوحدانية والثالث
٧٠	رابعاً: الثالث إعلان خلاصي
٧١	١- الثالث أساس خلاصنا
٧٦	٢- الثالث وتديير خلاصنا
٧٨	٣- الثالث وتحقيق الخلاص





- خامساً: الثالوث اعلان الهي ٩٠
- ١- اعلان مصدره الله ٩١
- ٢- صياغة الإيمان ١٠٢
- سادساً: الثالوث إعلان كتابي مرحلي ١٠٦
- المرحلة الأولى: ١٠٨
- المراجع ١٢٠





تقديم للدكتور / موريس تاووضروس

هذا الكتاب الذى أعده القس ابراهيم القمص عازر، من أجمل ما كتب عن الثالث فهماً وشرحاً ونفعاً، ويوضع فى قمة الكتب التى تكتب من سر الثالث، مع الاحتفاظ بحق وفضل المراجع التى استند اليها واستقى منها.

دكتور / موريس تاووضروس

أستاذ علم لاهوت العهد الجديد

بالكليات الأكليريكية

ومعهد الدراسات القبطية





مقدمة للكاتب

تمثل **عقيدة الثالوث** العقيدة الأولى والأهم في المسيحية، وذلك لأنها تعبر عن طبيعة الله في جوهره وتكشف لنا عن هذا الجوهر، ولأن الثالوث هو طبيعة الله فهو إعلان الله ليس فيه اجتهاد، فهو ليس اختراع بشري من بنات أفكار الإنسان، أو محاولة بشرية لوصف الله في طبيعته، ولا هي نتاج البيئة المحيطة أو نتيجة محاكاة تاريخية لبعض العقائد والأفكار الدينية أو تطور لبعض أفكار الحضارات القديمة عن الله، ولكنه حقيقة أزلية قائمة على الإعلان الإلهي الذي تم بتجسد كلمة الله في التاريخ «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر». (يو ١: ٨١)، حتى عندما أعلن القديس بطرس عن هذا الإيمان، كشف لنا الوحي سريعاً أن هذا الإيمان ليس من اجتهاد بطرس أو منطلق بشري وإنما هو كشف وإعلان من الله «فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السماوات». (مت ١٦: ١٦)، لذلك يخطئ من يظن أن الثالوث نتاج العقل البشري أو المنطق الإنساني لوصف الله في طبيعته، وإنما هو تعبير عن طبيعة الله وجوهره. ولكن بالرغم من أن هذا الإعلان ليس نتاج المعرفة البشرية ولكنه موجه نحو الإنسانية، فالثالوث هو الأساس الراسخ لحياتنا وحياة الكنيسة، فنحن نستمد مسيحيتنا من إيماننا بالله الواحد المثلث الأقانيم، فلا حياة ولا بركة ولا نعمة لنا دون إيماننا بالابن الذي وهبنا البنوة للأب من خلال الروح القدس، فالثالوث أساس إيماننا وينبوع خلاصنا وسر





كما قال عنه القديس غريغوريوس النزينزى «الثالوث فرحى»،
 وصف القديس غريغوريوس النيسى هذا الإيمان بأنه «العقيدة
 الخلاصية»، فالثالوث هو طبيعة الله التى كشفها لنا من محبته حتى
 نعرفه فتعبده، فلا يمكن أن تحب وتعبد من تجهله، ولهذا ينطلق إعلان
 العقيدة من المحبة، فالمحب دائماً يكشف عن نفسه لمحبيه حتى
 يفرح بشركته معه، فلا توجد عقيدة مسيحية أعلنها الله إلا ولها
 رابط وثيق بالإنسان فى إنسانيته وخلاصه، لذلك كان من الطبيعي
 أن لا نبدأ أى صلوات فردية أو جماعية أو ليتورجية دون الإعلان عن
 إيماننا بالثالوث (البسمله). ولم يكن غريباً أو مفاجئاً أن يكون قانون
 الإيمان الذى يُشكل حياة الكنيسة معبراً فى نصوصه عن إيماننا بالله
 الواحد المثلث الاقانيم - الله الآب ضابط الكل وابنه الوحيد المولود منه
 قبل كل الدهور والروح القدس المنيثق منه - حتى اننا نستطيع أن نقول
 أنه لا معنى لمسيحيتنا دون الإيمان بالثالوث، فتحن مسيحيون لأننا
 نؤمن بالثالوث.

ولكن بالرغم من كل ما قلناه عن عقيدة الثالوث وأهميتها، إذ تشرح
 طبيعة الله وتهبنا حياة الله، ولكننا نجد أنفسنا دائماً أمام هجوم
 رهيب ضد هذه العقيدة، فلا يخلو زمن إلا وتعرضت للتشكيك والرفض
 بحجة صعوبتها وعدم منطقيتها أو معقوليتها، مما دفع الكثيرين أن
 يتبنوا المنهج الفلسفى العقلى فى شرح العقيدة والدفاع عنها أمام
 منتقديها، فمن يقوم بشرح العقيدة يحاول تقديمها كعقيدة نظرية
 فلسفية، ومن يحاول أن يفهمها، يحاول أن يفهمها كنظرية حسابية عن



الله، فتكون النتيجة إحجام القارىء والسامع عن هذه العقيدة، متعللاً بصعوبتها وعدم معقوليتها وتضادها مع الحسابات المنطقية، فكيف يكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة. غير أننا يجب أن نعلم أن التالوث ليس نظرية عن الله نفهمها بالعقل، فالله أبعد وأعلى من عقولنا ومنطقنا الإنساني، وإن كان الله قد أعطى وميز الإنسان بالعقل حتى يعقل الأمور ويفهمها، ولكنه نبهنا كثيراً إلى قصور العقل ومحدوديته أمام القضايا الإلهية، مؤكداً على احتياجنا الشديد للإيمان النابع من عمل روح الله في داخل الإنسان، فلا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس (اكو٣: ٢١).

كما أن التالوث ليس مسألة حسابية عددية تدخل تحت نطاق قوانين الحساب، فالله فوق العدد والتعداد، لأن كل من عده فقد حده، ومن الخطأ حصر العقيدة في محاولة إثبات أن الأقانيم الثلاثة إله واحد، وأن التالوث ليس ضد الوجدانية، فمحاولة عرض التالوث أو فهمه بهذه الطريقة الحسابية المنطقية يُفقد العقيدة هدفها ويفرغ الإيمان من مضمونه الذي أعلن لأجله.

لذا يجب أن نلفت الإنتباه إلى أن التالوث من أجل الانسان وكلما تعمقنا في عشرتنا مع الله، كلما تماعلنا مع هذا الإيمان وتمتعنا به وعشنا من خلاله.

فاحتياجنا الشديد والحقيقي هو إلى التأمل والإنشغال بالله أكثر من التساؤل والبحث عن سر الله. هذا البحث الذي لن ينتهي طالما الإنسان محصوراً في هذه الحواس القاصرة الضعيفة.





وهكذا يجب أن يكون فهمنا لعقائدنا وإيماننا ليس من منطلق الجدل الفلسفي أو الحساب العددي، ولكن من خلال الإيمان العقلي، والتأمل القلبي، والسلوك الحياتي.

لذلك يأتي هذا الكتاب كمحاولة لفهم أعمق وأعم وأشمل لعقيدة الثالوث من كل جوانبها المختلفة، فهو إعلان الهى، سرى، كتابى مرحلى، خلاصى، شخصى وايضاً إعلان متكامل.

اللَّهُ يستخدم هذا العمل البسيط لمجد اسمه القدوس

بصلوات أيينا صاحب الغبطة والقداسة

البابا الأنبا تواضروس الثانى

بابا الأسكندرية وبطربرك الكرازة المرقسية،

وشريكه فى الخدمة الرسولية أيينا الأسقف المكرم

الأنبا غبريال

أسقف بنى سويف وتوابعها.

القس ابراهيم القمص عازر

كنيسة الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس ببني سويف

معيد بالكلية الأكليريكية بدير المحرق





إهداء

إلى أبي الحبيب / القمص عازر تاوضروس
راعى كنيسة السيدة العذراء مريم
قرية الناصرية - مركز بنى مزار - المنيا

أهدى لك هذا الكتاب. فهو ثمرة من ثمار أبوتكم ومحبتكم ورعايتكم
وصلواتكم وتشجيعكم، التى أثمرت ليس فقط فى حياة أولادك
بالجسد، بل وللأكثر فى حياة اولادك الروحانيين، فتتلمذ على يدك
الكثيرون وصاروا خداماً وكهنة ومكرسين للرب.

الرب يبارك خدمتكم ويملاً حياتكم من غنى نعمته ويفرحكم بثمار
محبتكم وتعبد خدمتكم.

إبنك

القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس

٥١٠٢ / ٧ / ٥ م





أولاً: الثالث إعلان سرى



ليس الإيمان بالثالوث عقيدة نظرية أو فلسفية أو عقلية مجردة، بل هو عقيدة قائمة على الكشف الإلهي الذي تم بتجسد كلمة الله في التاريخ واكتمال سر التدبير الخلاصي بموت المسيح على الصليب وقيامته، فهو اعلان ليس فيه اجتهاد»، الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو حَبْرٌ». (يو ٨: ١). فإيماننا المسيحي عن الثالوث، ليس نتاج أفكار إنسانية، أو محاولات بشرية، ولم يكن متأثراً بالحضارات الإنسانية، أو الظروف البيئية، ولا هو نتاج الثقافات الإنسانية أو الظروف التاريخية، ولا هو تطور للتصورات البشرية المتعاقبة عن الله، ولكن هو إعلان الله عن نفسه، وكلمة يعلن معناها يكشف "revealed"، أى الأمر المخفى أو المحجوب الذي لا يمكن إدراكه بالقدرة الإنسانية وحدها، ولكن هناك إحتياج للكشف الإلهي .. فالإيمان يحتاج الى إعلان وكشف إلهي حتى يستطيع الانسان أن يصل اليه، ويقبله ويفهمه، فالأمر ليس إنجازاً بشرياً، أو إكتشافاً إنسانياً، بقدر ما هو اعلاناً الهياً، وهذا ما اشار اليه الرب يسوع عندما أعلن القديس بطرس عن إيمانه، ظناً منه أنه صاحب هذا الإكتشاف الإيماني، فما كان من الرب يسوع أنه أسرع ليوضح للجميع أنه إعلان وليس إكتشاف:

”ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: “من يقول الناسُ إنِّي أنا ابنُ الإنسان؟” قالوا: قَوْمٌ. يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: إرميا أو واحدٌ من الأنبياء. قال لهم: “وأنتم، من تقولون إنِّي أنا؟”. فأجاب سِمعانُ بطرسُ وقال: “أنتَ هو المسيحُ



ابنُ الله الحيّ!“. فأجاب يسوع وقال له: ”طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السماوات.“ (مت ٦١: ٣١-٧١).

ثم في حديثه مع الله الآب، أراد تأكيداً لهذه الحقيقة، فأعلن أن المقياس ليس كون الشخص جاهلاً أو حكيماً، كبيراً أم صغيراً، ولكن المقياس هو من تقبل الإعلان وصدقه حتى لو كان جاهلاً، أو صغيراً، أو حتى طفلاً

”في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال: ”أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب، لأن هكذا صارت المسرة أمامك. كل شيء قد دفع إلي من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له.“ (مت ١١: ٥٢-٧٢). فلا أحد يستطيع الإيمان دون الإعلان ومساعدة فوقية الهية متمثلة في روح الإعلان ”الروح القدس“ .. وليس أحد يقدر أن يقول: ”يسوع رب إلا بالروح القدس“ (١كو٢: ٣).^١

بذلك دائماً نطلق على هذه الحقائق والإعلانات الإلهية «أسرار» (سر التالوث، سر التجسد، سر الفداء، سر المسيح ...)، لذلك الله هو سر يحتاج أن يكشف ويعلن، فالله أبعد من كل كلماتنا وتعبيراتها وتصوراتنا وتشبيهااتها، أبعد من براهيننا وتفكيرنا، وهذه نقطة مهمة جداً لا بد أن نضعها في اعتبارنا ونحن نتكلم عن التالوث أن: الله سر ..

١ - القس ابراهيم عازر، مدخل إلى الإيمان المسيحي، ص ٩





لأنه إذا كان الشخص البشري الذي نراه ونتعامل معه هو بحر من الأسرار، فكيف لا يكون الله الغير منظور سر الأسرار، ولكن السؤال هنا هو: ما المقصود بكلمة سر هنا؟ .. وهل الكلام عن سر الله يعنى الغموض؟ .. وسوف نشرح هذا الأمر من خلال عدة نقاط:

- ١- مفهوم السر
- ٢- حدود العقل
- ٣- عجز اللغة
- ٤- ضرورة الوحي

١ - مفهوم السر

أ- معنى كلمة سر عندما نتحدث عن طبيعة الله؟
كثيراً ما نطلق على العقائد المسيحية كلمة «أسرار»، كسرّ التجسّد، وسرّ الفداء، وسرّ الثالث الأقدس.
وكثيراً ما نفهم كلمة سرّ بمعنى لغز وهذا ليس صحيحاً. فهناك فرقاً كبيراً بين اللغز والسرّ.
فاللغز هو أمر غامض ومكتوم، طريق مغلق، يطرق الإنسان على بابه ولا يتلقى أيّ ردّ.

أمّا السرّ فى المفهوم المسيحيّ، فهو شيء آخر، مختلف تماماً، فالسرّ هو حقيقة إيمانية يستطيع الإنسان أن يفهمها على وجه أفضل يوماً



بعد يوم دون أن يصل إلى نهايتها، فالسرّ ليس حائطاً أصطدم به، بل هو محيط أتعَمَّق فيه وأزداد تبحراً فيه، وكلّ يوم أكتشف أبعاداً جديدة لهذه الحقيقة من دون أن أصل إلى نهايتها.^٢

فالمفهوم الشعبي للسر يختلف عن المفهوم المسيحي للسر ولا يجب أن نخلط بين الأثنين.

المفهوم الشعبي للسر هو «ما لا يفهمه الإنسان» لما في السر من اللغز والغموض والخفاء. وهذا التعريف بحسب الفيلسوف^٣ (GABRIEL MARCEL) في تعريف «المسألة» أو «القضية» أو «المشكلة» لذلك فهو يحاول أن يحلها بعقله ليوضحها ويحلها فيفهمها ويحيط بها ويدركها.

وأما السر «MYSTERE» في المفهوم المسيحي، فهو بحسب قول القديس أغسطينوس

«ما لا ينتهي الإنسان من فهمه»، بمعنى أن السر ليس ما لا يمكن فهمه، بل ما لا يمكن الانتهاء من فهمه.

فكلما غاص فيه الإنسان اكتشف أبعاداً وأعماقاً ومعاني لا حد لها، لأن السر لا منتهاه. فليس السر حائطاً سميكاً يعترض عقل الإنسان، بل هو محيط بلا شاطئ ولا حدود يتبحر فيه الإنسان.

٢ - الأب هنري بولاد اليسوعي، منطق الثالوث، دار المشرق بيروت - ص ٢١

٣ - مازسيل غابرييل "١٨٨٩ - ١٩٧٢": فيلسوف مسيحي فرنسي كاثوليكي



وتظهر هكذا صحة قول القديس اغسطينوس علي الحقيقة الإلهية :

« ليس الإنسان هو الذي يمتلك الحقيقة، بل أن الحقيقة هي التي تمتلكه »

فتطبيقاً لهذه الكلمة، يمكن القول أن الإنسان لا يمتلك سر الله، بل أن سر الله هو الذي يمتلكه.^٤

لذلك شبه الآباء الشرقيون لقاء الإنسان مع الله بخبرة واحد يسير عبر الجبال في الضباب .. فما أن يخطو خطوة واحدةً إلى الأمام، حتي يجد نفسه فجأة وقد بلغ حافة الهاوية، بلا أرضية صلبة تحت قدميه، أو يستخدمون مثلاً لإنسان يقف ليلاً في غرفة مظلمة .. وما أن يفتح النافذة، حتي يلمح بالخارج وميضاً من البرق، يجعله يترنح إلى الخلف، ويصاب بالعمى المؤقت. هكذا يكون مواجهة السر الحي لله.

ومن تلك الأمثلة التي يذكرها الآباء عن هذا الأمر (خبرة موسى النبي)، فموسى يرى على التتابع ثلاث رؤى من الله :

فيري الله أولاً في رؤيا من نور في العليقة المشتعلة (خر ٣: ٢)، ثم ينكشف الله له من خلال نور مختلط بظلمة في «عمود الدخان والنار» الذي كان يصحب شعب اسرائيل عبر البرية (خر ٣١: ١٢)، ثم يتقابل أخيراً مع الله في «لا رؤوية»، حين يتكلم معه في «الظلمة الكثيفة» على قمة جبل سيناء (خر ٢٠: ١٢).

٤ - الأب فاضل سيداروس اليسوعي، سر التالوث، دار المشرق بيروت، ص ١٣، ص ١٤



إن هذا ما يحدث معنا حينما نتأمل سر الله، إننا نخرج من المعلوم إلى المجهول، نحن نخرج من نور المعرفة الجزئية إلى معرفة أعظم، تلك المعرفة الأعمق التي لا يمكن وصفها فقط إلا بأنها «ظلمة عدم المعرفة». وعندها نعرف أن المسيحية ليست مهمتها أن تعطى إجابات سهلة على كل سؤال، بل تجعلنا على الدوام نعي وجود «سر».

ليس الله هو موضوع معرفتنا بقدر ما هو سبب تعجبنا «أيها الربِّ سيِّدنا، ما أمجدَ اسمك في كلِّ الأرض!» (مز ٨: ١)، ويؤكد القديس غريغوريوس النيسي «اسم الله ليس معروفاً - هو اسم يُتعجب منه».

وهذا ما تتضمنه، في الحقيقة، الكلمة ذاتها، كلمة «سر». فإنها لاتعني الخفائية فقط بل الإنكشاف. فاللفظة اليونانية «مستريون» "mysterion" مرتبطة بالفعل "myein" والذي يعني "أن نغلق العينين أو الفم"، فالداخل الجديد إلى بعض الديانات الوثنية السرية الخاصة كان يتقدم معصوب العينين ثم يقاد إلى ممرات سرية، ثم ترفع العصابة عن عينيه فجأة ليُرى، كل الرموز السرية للديانة، بعد ان ينكشف كل ما حوله ولهذا فانه في المضمون المسيحي، لانعنى بكلمة «سر» ما هو محير وغامض، ولا تعنى لغزاً أو مشكلة بغير حل، السر على العكس، شئ ينكشف "revealed" أو يُستعلن أمامنا لنفهمه، لكننا لانفهمه بشكل كامل، وذلك لأنه يقودنا إلى عمق الله.^٥

٥- الأسقف كاليستوس وير، الطريق الارثوذكسي، الله سر، ترجمة / د نصحي عبد الشهيد، مركز

دراسات الآباء، ص ١٧، ص ٢





ب : منهجية السر

✠ القبول بمبدأ أن هناك أسرار تتجاوز العقل (فوق حدود الإدراك)

إن معنى لفظة «سر»، في الأصول اللغوية اليونانية للكلمة (Mystirion) كما شرحنا سابقاً هو "الأمر المخفي أو المحجوب". الأمر الذي لا يستطيع العقل إدراك حقيقته كاملاً، إذ أن الحقيقة ليست فقط فيما يظهر ويعقل. وهذا لا يعنى أنه ضد العقل، بل يفوق العقل، فغالباً ما يكون الأعمق فيها هو ما قد حُجب، الأمر الذي يدعو إلى الرمز والعلامة، إلى التساؤل والتأمل، إلى الحيرة والدهشة .. وكثيراً ما يدعو إلى الصمت، أى أنه فى بحثنا عن "من هو الله" يجب علينا القبول بأن هناك ما يتجاوز العقل وإن لم يكن ضده.

يقول القديس غريغوريوس النزينزى:

لقد أسرع لبلوغ الله، وصعدت هكذا إلى الجبل ودخلت الغمام، منعزلاً فى داخل عن المادة والماديات، ومنكفئاً على ذاتى قدر الإمكان، وعندما نظرت لم أكد أرى سوى قفا الله (خر ٣٣: ٣٢)، وكنت محتمياً بالصخرة (خر ٣٣: ٢٢)، بالكلمة (يو: ١٥: ٤١) الذي صار جسداً من أجلنا. وعندما انحنيت قليلاً أبصرت، لا الطبيعة الأولى الخالصة من كل إختلاط (أعنى الثالث). وكل ما يبقى وراء الستر الأول الذي يغشيه الكرويين (خر ٦٢: ١٣ - ٣٣، ٦٣: ٥٣، ٦٣)، بل ما يقع فى الطرف ويصل إلينا. أنه على ما أرى، عظمة الله فى المخلوقات وفى الأشياء التى أبدعها وساسها. وما يسميه داود «جلاله» (مز ٨: ٢) وهذا





ما يرى قفا الله، وما يدرك بعد اجتيازِهِ. أنه كظلال الشمس على المياه، والأخيلة تمثل الشمس في العيون الضعيفة، إذ لا يمكن التحديق إلى ذات الشمس، لأن صفاء نورها يتغلب على الحواس. هكذا يجب أن تعالج اللاهوت، وإن كنت كموسى «الها لفرعون» (خر ٧: ١)، وإن كنت بلغت السماء الثالثة كبولس، وسمعت كلمات تفوق الوصف، وإن تفوقت عليه، في أحد المواقع أو الصفوف التي للملائكة أو لرؤساء الملائكة، فكل كائن، سواء كان علوياً أو فوق العلوى، وإن كان بطبيعته أرفع منا جداً وأقرب إلى الله، هو أبعد من الله ومن إدراك كامل لله.^٦

❖ السؤال عن «سرّ» الله لن ينتهي

يقال أن القديس أغسطينوس، بينما كان يفكر بحقيقة سرّ الله، وقد أراد المسك بأعماقها، رأي طفلاً ينقل في كفه الصغير مياه البحر إلى حفرة صغيرة. فتعجب لذلك. والطفل بدوره، تعجب رغبة أغسطينوس القبض، بدفعة واحدة، على حقيقة الله كاملة.. ما يفيد في هذه المقارنة هو أن الحفرة تستوعب مياه البحر بقدر الجهد المبذول لتساعها، لن تستوعب البحر كاملاً ولكن كلما اتسعت استوعبت مياهه أكثر. كذلك محاولة الإجابة عن سؤال «مَنْ هُوَ اللهُ» تتسع يوماً بعد يوم، دون أن تصل إلى نهاية!..

الحقيقة لا تحدّ.. «أنّ الله لا يُحدّ».

لذا كلما سار الإنسان في الطريق الروحي، وكلما تقدم فيه أكثر،

٦ - دكتور موريس تاوضروس، علم اللاهوت العقيدى المجلد الثانى استاذ علم لاهوت العهد الجديد بالكلليات الأكليريكية ومعهد الدراسات القبطية - ص ٢٦١





يصبح مدركاً لحقيقتين متلازمتين، هما آخريته otherness (كونه آخر)، وقرية nearness، إته يتحقق أكثر فأكثر، من أن الله هو سر. فهو غير المدرك وغير المنظور، الذي يتجاوز ضعفنا بمقدار لا يُقدر، ومع ذلك فالله قريب منا.^٧

✦ نعرف الله في «حبه» وليس في ذاته

يرى إيريناؤس أننا «لا نستطيع أن نعرف الله في عظمته .. بل في محبته»، مؤكداً أن هذه المحبة ظهرت في شخص يسوع المسيح «كلمته»، فقد «صار إنساناً بين الناس، ليربط النهاية بالبداية، أي الإنسان بالله... لا شك أن الله، في عظمته ومجده الذي لا يوصف، «لا يراه إنسان ويبقى حياً» (خر ٣٣: ٠٢) لأن الآب لا يمكن إدراكه .. فالإنسان من تلقاء ذاته، لا يمكنه أن يرى الله؛ ولكن الله إذا شاء يمكنه أن يُرى نفسه للناس، لمن يريدهم، متى شاء وكيفما شاء، فالله يستطيع كل شيء.

لذلك علينا أن نَعْبُر، كما يدعونا القديس غريغوريوس النيسى من الرغبة في المسك بمعرفة الله بشكل كامل ونهائي إلى «الفرح بحبه» في علاقة نمو وتدرج، تتجاوز أحياناً حاجاتنا المعرفية وتسمو عليها.^٨

ولهذا السبب، لا يتوانى القديس أغسطينوس عن التصريح في شرحه لإنجيل يوحنا: «أعطوني شخصاً يحب وسيفهم ما أقوله». فإذا ما أراد الإنسان أن يعرف الله، لا بد له أن يذهب إلى لقائه، يتكلم معه كما

٧ - دكتور عدنان طرابلسي، الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، ص ٩١

٨ - الأب بسام اشجيم، من هو الله عند آباء الكنيسة الأوائل، www.terezia.org.



يكلم صديقه، أو يدخل معه في محبة متواصلة ، يقول القديس سمعان اللاهوتي «كصديق يتكلم مع صديقه، يتكلم الإنسان مع الله، ويقترّب منه في ثقة، واقفاً امام وجه الذى يسكن النور غير المدرك»^٩

٢ : حدود العقل

أ- ما بين نهائية الإنسان ومحدودية عقله ولانهائية الله وعدم محدوديته.

برغم أن الله أعطانا العقل لكي نفكر به ونحكم به على صحة الأشياء ونفرق بين الخطأ والصواب، الحقيقة وضدها، فالعقل هو الميزة التي ميز بها الله الإنسان عن الحيوانات وبه جعل الإنسان تاج الخليقة، ولكن يجب علينا أن نلاحظ الآتي:

✦ العقل محدود بينما الله غير محدود

فالعقل محدود بينما الأمور الإيمانية الخاصة بالله هي أمور غير محدودة وكيف للمحدود أن يحتوى اللامحدود! لقد خلق العقل ليفكر في الأمور التي تخصه أى الأمور المحدودة، وحتى بالنسبة للأمور المحدودة الخاصة بالبشر يقف العقل عاجزاً أمام الكثير جداً من الأمور التي يعجز عن إدراكها أو فهمها أو حتى تفسيرها، فكيف يمكن للمحدود أن يدرك اللامحدود وهذا لا يعني أن الأمور الإيمانية هي ضد العقل فهذا ليس صحيحاً لأن الأمور الإيمانية ليست ضد العقل ولكنها فوق العقل، وهنا يأتي الإيمان مكملاً لدور العقل المحدود،

٩ - دكتور عدنان طرابلسي، الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، ص ٩٠





تماماً كما يأتي «التليسكوب» مكملاً للعين المجردة المحدودة، ففهم البعيدات، ونقترب بخشوع من سر الألوهة، ذلك السر الذي ليس ضد العقل ولكنه فوق العقل، فلا تعارض إذن بين العقل والإيمان فكلاهما يُكْمَلُ الآخر. وفى هذا يقول القديس أغسطينوس «العقل يسبق الإيمان والإيمان يسبق العقل وأنى أو من لكي أتعمل»، وهنا يظهر واضحاً أننا لا نلغي العقل أو نهمش دوره فهو مطلوب ولكنه ليس هو الذي نقيس به صحة الإيمانيات أو نحاول فهمها به فقط ولكننا نمسح العقل بروح الله نمسحه بمسحة الإيمان لأننا نعرف حدوده وإمكانياته وأنه لا يمكن أن نحيط الله بالعقل وهنا يأتي الإيمان الذي يمسخ العقل بمسحة إلهية دون أن يلغيه فيؤمن العقل ويصدق بل ويعلن ويكتب ويدافع عن هذا الإيمان.^{١٠}

✦ العقل مادى ومن عناصر هذا الكون

العقل لا يمكنه أن يدرك الله لأنه من عناصر هذا الكون لذا فهو صالح لإدراك ما فى الكون من عوامل وقوى ولكنه عاجز عن إدراك من هو بطبيعته متعال عن الكون، وفى هذا المعنى خاطب الله موسى قائلاً: «لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ٠٢)، وفى هذا الأمر يقول القديس غريغوريوس النيسى: «العقل لا بد أن يدرك أن المعرفة الحقيقية لذاك الذي يسعى إليه ورؤيته الحقبة، تكون بأن يرى أنه غير مرئي، وبأن يعرف أنه يتعالى على كل معرفة»^{١١}

١٠ - الأنبا موسى، الاسقف العام للشباب، الثالوث والقيامة، ص ١٠

١١ - كوستى بندلى، السبل إلى الله، منشورات النور، ص ٢٠، ص ٢١



يقول ايضاغوريوس البنطي «لا يمكن ادراك الله بالذهن، إن كان يمكن ادراكه، فلن يكون الله»^{١٢}

ب- منهجية العقل

✠ قبول الإنسان حدود عقله مع اعترافه بلا نهائية الله :

يعترف الإنسان بنهائية عقله البشري: «ما من شئ أكثر تطابقاً مع العقل من العدول عن العقل» (باسكال)، فتمّة فعل تواضع، على الإنسان أن يقوم به، كما فعله آباء الكنيسة، نذكر من بينهم مثل القديس أوغسطينوس والقديس غريغوريوس النيسى. فلقد اشتهر قول القديس أوغسطينوس المأثور، مخاطباً الله: «تبحث عمّن يهرب منك، وتهرب ممّن يبحث عنك». فالله يُبادر دائماً تجاه الإنسان، ولكن طبيعته لا تدع الإنسان يستحوز عليه، فالله النهائي يهرب ممّن يبحث عنه، فالله أسمى وأشمل من عقل الإنسان النهائي.

وأما غريغوريوس النيسى، ففي كتابه عن «حياة موسى» ولاسيما تفسيره للحجاب الذي وضعه موسى على وجهه عندما نزل من الجبل لبهاء وجهه من مقابلته مع الله، يتحدّث القديس غريغوريوس عن «الضباب الإلهي» "divine darkness" أي ظلام عقل الإنسان أمام نور الله البهّي، ويقول في هذا الصدد: "في الإيمان تنتقل من النور إلى الظلام". فأما النور فنور الله، وأما الظلام فظلام العقل. فمتلماً لم يستطع بنو إسرائيل مشاهدة وجه موسى المنير، لا يستطيع الإنسان

١٢ - دكتور عدنان طرابلسي، الرؤية الأرثوذكسية للإنسان، منشورات النور، ص ٩٠





أَنْ يُشَاهِدَ نَوْرَ اللَّهِ بَدُونَ أَنْ يَخْتَبِرَ ظِلَامَ عَقْلِهِ النَّهَائِيَّ. فَالْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ ظِلَامٌ أَمَامَ نَوْرِ اللَّهِ الْبَهِيِّ.^{١٣}

ويقول أيضاً القديس غريغوريوس النيسى: «يقوم بيننا وبين الله ظلام مصدره الجسد، هو أشبه بالغمام الذي كان يقوم قديماً بين المصريين والعبرانيين «فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلَامُ وَأَضَاءَ اللَّيْلِ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هَذَا إِلَى ذَاكَ كُلِّ اللَّيْلِ» (خر ١٠: ٢١)، وقد يكون هذا هو معنى القول «جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ» (مز ١٠١: ١١)، والظلمة هنا هي كثافتنا التي لاترى القلة من خلاله الآ القليل. وعلى من يهتمهم هذا الموضوع أن يخوضوا فيه ما شاءوا وليوغلوا في البحث إلى أقصى ما أستطاعوا. أما نحن أسرى الأرض، على حد قول إرميا الإلهي، نحن الذين تغمرهم كثافة الجسد، فَجَلَّ ما نعرفه أنه يستحيل على الإنسان أن يسبق ظله، والظل كلما حاولت إدراكه وجدته متقدماً عليك.^{١٤}

✠ **ليس الله «مسألة» تُبَحَثُ بِالْعَقْلِ الْمَجْرَدِ، اللَّهُ مَوْضُوعُ إِيمَانٍ: «أَوْ مِنْ بَالِهِ وَاحِد»..**

لو أمكن معرفة الله بالعقل، لكان العقل استوعب الله وحواه، ولكن المحدود لا يمكنه أن يسع غير المحدود، نقطة الماء لا يمكنها أن تستوعب البحر، العقل لا يمكنه أن يحوي الله ويحصره لأن الله مصدر العقل نفسه.

١٣- الاب فاضل سيداروس اليسوعي، بين وحي الله وايمان الإنسان ٢،

١٤- د موريس تاوضروس، استاذ بالكلية الاكليريكية ومعهد الدراسات القبطية، علم اللاهوت العقيدى

المجلد الثاني، ص ٢٦٢



يقول **جان دانيالو** بهذا المعنى: «ليس الله ضمن حدود الإدراك لأنه هو الذي يكون الإدراك».

لو كان العقل يدرك بحد ذاته الله، لكان العقل مقياس الله بينما الله هو مقياس الأشياء كلها بما فيها العقل، فكما أن العين عاجزة عن الشخوص إلى الشمس لأن نور الشمس يبهرها، هكذا العقل عاجز عن إدراك الله، بهذا المعنى قال الكتاب عن الله: «..... ساكنًا في نور لا يُدنى منه» (1 تي: 6: 16)

كما يذكرنا **غريغوريوس النيسى**: «العقل يحدد الأشياء التي يدركها ولكن الله فوق كل تحديد....».

من كل ذلك يتضح أن المعقول - رغم التناقض التعبيري - أن لا يدرك العقل الله، وأن الطريقة الوحيدة المعقولة للاقتراب من الله هي أن يتخلى العقل عن مركزيته، فلا يعود يعتبر ذاته مقياس كل شيء، حينئذ يمكنه أن يستنير بنور الله وأن يعرف الله مقياساً له وللأشياء كلها.

وعبر خير تعبير عن هاتين الحقيقتين: عظمة الله، نهائية الإنسان كل من:

† **إشعيا النبي**: «لأن أفكارني ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقني، يقول الرب. لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقني عن طرقكم وأفكارني عن أفكاركم». (إش: 55: 8، 9)

† **القديس بولس الرسول**: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف





فَكَرَّ الرَّبُّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأُ؟. لَأَنَّ
مَنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ». (رو ١١ : ٣٣ -
٥٣).^{١٥}

ولذلك فمعرفة الله لا تكتمل إلا بالاتصال الحي معه، حقاً يمكن لعقلي أن يعرف بعض الأشياء عن الله، ولكنني لا يمكن أن اعرف الله حقيقة إلا إذا كنت في شركة معه، الله لا يُدرك بالعقل ولكنه يكشف نفسه حباً، فلا يُعرف إلا ممن يحبونه، لذلك علم الآباء الشرقيون أن « من يصلح حقيقة هو لاهوتي »، من يصلح حقيقة أي من يصبح اليقياً لله، متصلاً به، رافعاً النفس إليه، ساعياً، الى لقاء صميمي معه . في هذا اللقاء يتحول الإنسان تحولاً كيانياً بفعل حضور الله ويصبح بفعل ذلك التحول قادراً أن يعرف الله معرفة حقة، لأن حياة الله تصبح حالة فيه. لا يسعنا عند ذلك القول أن عقل هذا الإنسان يدرك الله، بل أن الله «يدرك العقل» أي ينيره من الداخل ويكشف له ما لم يكن بوسعه أن يكتشفه لو ترك لنفسه ... فلا سبيل لمعرفة الله سوى الحياه معه.^{١٦}

٣- عجز اللغة

أ. اللغة البشرية لغة مادية تعجز عن وصف الأمور الإلهية
فاللغة البشرية تقف عاجزة عن أن تعبر عن الإلهيات فهي لغة مادية أرضية تُستعمل للتعبير عن الماديات وتتناسب مع البشر في معاملاتهم،

١٥- كوستي بندلي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور، ص ٢٢، ص ٢٣

١٦- كوستي بندلي، السبيل إلى الله، منشورات النور، ص ٤٧ : ص ٥٢





لذلك فالتعبيرات اللغوية البشرية عن الله دائماً قاصرة وغير معبرة عن الأمور الإلهية:

♦ القديس أغسطينوس يعبر عن هذا الأمر قائلاً:
«أننا عندما نتكلم عن الله، فإن اللغة البشرية توجد عاجزة عن التكلم عن الإلهيات».

♦ القديس غريغوريوس النيسى يقول:
«فى أي موضع نتكلم عن اللاهوت نجرحه».^{١٧}

♦ والقديس كيرلس يؤكد عجز اللغة البشرية قائلاً:
ستظل الكلمة البشرية قاصرة وغير كافية لوصف الإلهيات، فتعبيرها دائماً نسبي، فهي داخل حدود اللغز والنموذج والعلامة والمثال، وبواسطة الكلمة نستطيع أن نفهم جانباً ما من العنصر الإلهي والروحي.

فالكلمة الكتابية لا تعلن ماهية الله بالضبط، ولكن مفاهيم عن الله، والذي حدد هذه المفاهيم ليست الكلمات اللغوية أو المفاهيم التاريخية فى حد ذاتها، ولكن المعنى الروحي المختفي والعميق السرى، وذلك بحسب التدبير، والذي يقودنا إلى الفهم الصحيح للأقوال الإنسانية.^{١٨}

♦ ولقد عبّر القديس هيلاريون أسقف بواتييه عن قصور اللغة قائلاً:
«إن شرّ الهراطقة والمجدفين يُرغمنا على القيام بأمر محرمة: أن

١٧- حلمى القمص، خادم بكنيسة القديسين مارمرقس والباب بطرس خاتم الشهداء اسكندرية، التثليث،

سلسلة ايمان كنيستنا

١٨- د جوزيف موريس فلتنس، الآباء و الكتاب المقدس، محاضرة بمركز دراسات الآباء





نتسلق القمم المحظور تسلقها، وأن نتكلم في مواضيع لا يُنطق بها، وأن نتدّم تفاسير ممنوعة، كان علينا أن نكتفي بأن نتّم بالإيمان وحده ما أمرنا به، أعنى أن نسجد للآب وأن نكرّم الابن معه وأن نمثلي من الروح القدس، ولكننا مُرغمون على أن نطبّق كلمتنا المتواضعة على الأسرار الأبعد من الوصف، إن خطيئة الآخرين تقودنا إلى خطيئة أعظم: التعبير عن الأسرار التي كان يجب أن نحويها في ديانة قلوبنا بتصور اللغة البشريّة»^{١٩}

♦ والقديس غريغوريوس النيسى يؤكّد:

«كل من يحاول وصف النور الذي لا يدنى منه بالكلام هو في الحقيقة كاذب، ليس لأنه يكره الحق ولكن بسبب عدم كفاية وصفه»

♦ ثاوفيلس الانطاكي يوضح:

«هيئة الله لا ينطق بها ولا يمكن أن توصف، ولا يمكن أن تُرى بعين الجسد، هو الله في مجد لا يُحتوى، وفي عظمة تفوق الفهم، وفي علو لا يدرك، وفي قوة لا تقارن.....»^{٢٠}

فاللغة البشرية المحدودة لا يمكن أن تفي بحق عن المدلولات الكاملة الإلهية التي لله الغير محدود، ولذا فهي ليست إلا تعبير عما يستطيع البشر فهمه وإدراكه، ولذلك يجب فهم التعبيرات اللغوية في ضوء الإيمان وليس العكس.

١٩- توماس ف. تورانس، الإيمان بالتالوث، ترجمة د عماد موريس اسكندر - د جوزيف موريس فلتس، ص ٣٦

٢٠- الأسقف كاليستوس وير، الطريق الأرثوذكسي، الله سر، ترجمة د نصحي عبد الشهيد مركز دراسات

الآباء، ص ٣٤، ص ٣٥



ب. منهجية التعامل مع العجز اللغوي

يُميز الأب يوحنا الدمشقي بين ثلاث أشياء «مانستطيع فهمه في الله، بدون التعبير عنه، «ما يمكننا فهمه، والتعبير عنه»، «ما لا يُستطاع فهمه، ولا النطق به».

ولذلك ابتكر القديس غريغوريوس النيسىّ تعبير «اللاهوت السلبي»، حيث التعبير عن الله بالنفي والسلب، على خلاف «اللاهوت الإيجابي» حيث التعبير عن الله بالموجب كما نفعله عادة.

«اللاهوت السلبي»:-

ونجد نموذجاً عن «اللاهوت السلبي» في القدّاس الغريغوريّ حيث التعابير بالنفي عن الله الفائق: (غير المرئى، غير المأثت، غير الزمنى، غير المحدود، غير المفحوص، غير المنطوق، غير المدرك ...)

فتصف هذه التعابير بصيغة النفي بسبب تسامى الله المطلق، وعجز اللغة عن التعبير عنه. فحديث اللاهوت السلبي هو حديث النفي «الله لم يره أحد قط» لأن الله يتجاوز كل عقل بشرى وكل معرفة بشرية، لذلك يصفه بأنه غير المدرك، غير المحدود، غير المرئى

وبحسب تعبير يوحنا الدمشقي يقول:

«الإله لا يُحد ولا يُدرك. والشئ الوحيد الذي ندركه أنه لا يُحد ولا يُدرك».

فإن الله أكبر من كل ما يعرفه الإنسان عنه ومن كل ما يُعبر عنه، الله أكبر من كل المقاييس البشرية، أكبر من كل الضرورات العقلية. أكبر من كل التصورات والتخيلات.





وبحسب قول القديس غريغوريوس النيسى:

«معرفةنا بالله تكمن في أننا لا نكون أية فكرة عنه إنطلاقاً من نمط المعرفة البشرية»

فليست الوصية الأولى من وصايا الله العشرة عدم عبادة أصنام فحسب، ولكن يفسرها القديس غريغوريوس النيسى بأنها تحريم بتكوين أى تصوّر ذهني عن الله. فالله يفوق اللغة البشرية، ومهما كانت رغبة الإنسان في رؤية الله، رغبة لا متناهية، فإن الإنسان لا يرى الله - مثل موسى - إلا من الظهر، بمعنى أن الله يتجاوز معرفة الإنسان وتعبيرة وتصوره عنه.

«اللاهوت الإيجابي»:-

ويتكامل الحديث «السلبى» بالحديث «الإيجابى» وهو الحديث لا بالنفي، بل بالإيجاب، أي الحديث الذي يجرؤ أن يقول قولاً فى الله، لأن الله لم يتركنا فى جهلنا لأن الله أعلن لنا ذاته من خلال الشريعة والناموس وأخيراً من خلال ابنه الكلمة المتجسد الله، «بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ...» (عب ١ : ١ ، ٢)، الذى جاء وأخبرنا عن الله فى «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبْرٌ». (يو ١ : ٨١)، ولكن على قدر ماتحتمل طبيعتنا، بحسب قول يوحنا الدمشقي:

«أعلن لنا كل ما يفيدنا أن نعرفه، وصمت عما لا نستطيع إحتماله»^{٢١}

٢١- الاب فاضل سيداروس اليسوعى، سر الله الثالث الأحد، دار المشرق بيروت، ص ١٧ - ص ٢٣



٤- حتمية الإعلان الإلهي

أ. الله يكشف ذاته لنا فيجعل الإيمان ممكناً:

إذا كان الله، موضوع الإيمان، يفوق كما رأينا، كل فكر وتصوّر وشعور ورغبة، فهذا يعنى أنه لا يمكننى أن أكتشفه من تلقاء ذاتى، ولكن الله يحبني، ولذا أراد أن يكشف ذاته لى، ذلك أن المحبة تدفع المحب أن يكشف ذاته للمحبيب، حسب قول الرب: «الَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو ١٢: ٤١)، لو لم يأخذ الله مبادرة كشف ذاته للإنسان لما كان الإيمان ممكناً.^{٢٢}

ب. لا بد أن نتعلم عن الله من الله

وفى نهاية الأمر، فإننا نتعلم من الله ذاته، ما الذي يجب أن نفتكره عنه «لأن الله لا يمكن أن يفهم إلا من خلاله هو ذاته» كما أن إيماننا يجب أن يركز على نفس «الحق»، الذي بنى عليه الرسل الأولون إيمانهم وفهمهم، مما يعنى أننا نلجأ إلى أقوال الكتاب المقدس فعلياً أن نخضع عقولنا مباشرة للحق الذي تشهد له ولذلك كانت هناك حاجة ضرورية جداً للكشف والإعلان الإلهي لإزالة الغموض والحيرة والإلتباس، وهذا الإعلان لا يمكن أن يقوم به آخر غير الله، لأن الله شخص، وكل شخص هو سر، فإذا كان الشخص الإنساني هو سر، فريد بأفكاره ومشاريعه وذوقه وماضيه وحاضره ومستقبله، وبالتالي يحتاج أن يعلن عن نفسه، والأ ظل غامضاً ومجهولاً بل ومخيفاً أيضاً، فكم وكم الله «سر الأسرار» يحتاج إلى إعلان، ليس من خلال آخر، ولكن من

٢٢- كوستى بندلى، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص ٢٨





خلاله هو، فالله الوحيد القادر أن يعلن عن نفسه لا شخص آخر، لأنه إن كانت أمور الإنسان لا يعرفها إلا روح الإنسان، فبالأولى وبالأحرى وبالضرورة أمور الله. «لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (١ كو: ٢: ١١) لذلك لكي نعرف الله لأبد أن يأتي هو لكي يعلن لنا ذاته «هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» الكتب المقدسة. لذلك لا نتطلق مسيرتنا في البحث عن الله، من عقل الإنسان ولكن مما يقوله الله عن نفسه، لذلك نقول في القداس الغريغوري: «أعطيتني علم معرفتك»، لقد أتى الرب يسوع فأعلن للإنسان أن الله أب وابن وروح قدس، وهذا هو سر الله الذي ما كان الإنسان بوسعه أن يكتشفه وحده بدون الله، هذه هي حقيقة الله والتي يجب على الإنسان قبولها بتسليم كامل وبإيمان تام.^{٢٣}

لذلك يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

«كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولاً وقبل كل شيء أن يحفظ الإيمان، ومن لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه يموت موتاً أبدياً.. وهذا هو الإيمان أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث وثالوثاً في وحدانية، من غير تقسيم في الذات ولا إختلاط في الأقانيم، فأقتوم الأب غير أقتوم الأبن غير أقتوم الروح القدس، ولكن الأب والأبن والروح القدس ليسوا إلا إلهاً واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.....».^{٢٤}

٢٣- توماس ف. تورانس، الإيمان بالثالوث. ترجمة د عماد موريس اسكندر، د جوزيف موريس فلتنس،

ثانياً: الثالثوٲ إعلان شخصي

فى المسيحية لم يعلن عن نفسه بأنه مبدأ أو طاقة أو فكرة نظرية أو مجرد قوة مجهولة ساكنة لا تتحرك ولا تُعقل ولا تحب، ولكن الله أعلن عن نفسه (وهذا الإعلان تنفرد به المسيحية عن أي فكر آخر) بأنه شخص يمكن للإنسان أن يحبه ويناجيه ويقيم معه علاقة وشركة، فى المسيحية - بعكس الديانات الأخرى التي تصور الله كأنه قوة مجهولة يخافها الإنسان ويرتعب منها ويبدأ الإنسان رحلة البحث عن هذه القوة المجهولة التي تُدعى زوراً الله -، فى المسيحية وحدها يعلن الله عن نفسه بأنه شخص وهذا لا يُعنى أن الله إنسان له يدا ورجلان وعينيان ولكن هذا يُعنى ان الله لديه القدرة على إقامة علاقات محبة مع الآخر، فهو ليس صنم لا يتحرك ولا يشعر ولا يحس ولكنه إله حى، لذلك يصف الكتاب الله قائلاً (الله مَحَبَّةٌ)، فهو شخص والشخص الحقيقي هو القادر على إقامة علاقات مع الآخرين، فهو غير منعزل فى ذاته، بل متفاعل ومتواصل مع الآخر، ويجب أن نعرف ونفهم أن الصنم وحده هو الذي لا يتكلم، لا يحس، لا يتفاعل، لا يتحرك، لا يفهم، لا يستجيب، لا يشعر. لذلك إلهنا فى المسيحية هو شخص وليس صنم. والشخص هو من يحب، الشخص يمتد نحو الآخر فيكون.. وهذا عكس الفرد، فالفرد يتميز بفرديته وبانعزاله، فأى واحد منعزل ومستقل بذاته لا يكون شخصاً أصيلاً حقيقياً بل فرداً، والتمركز حول الذات والأنا هو موت الشخصية الحقيقية بينما الشخص يتحقق بإمتداده، بإجتماعه مع غيره، بإتحاده مع آخر والعلاقة الحقيقية تكون بين الأشخاص، أذن عندما نتساءل: لماذا نؤمن بالله الواحد المثلث الأقانيم؟، وحتمية وجود الأقانيم فى الله الواحد؟.. الإجابة تكون، أن



أكثر كلمتين يدخلوننا إلى السر الإلهي سر الثالوث هما: (الله محبة)،
(الله شخص).

١. الله محبة

المحبة (باليونانية *Agapé*) في المسيحية ليست صفة يتسم أو يتحلّى بها الله ضمن صفات أخرى، بل هي في جوهره وماهيته وكيانه، فالله في حد ذاته محبة بصفة مطلقة لانهائية.

لا يكفي أن تقول أن «الله محبة» بمعنى أنه يحبّ البشر، أي أن حبه يتناول طرفاً خارجاً عنه، كما أن رحمته أو عدله أو غيرهما من الصفات موجّهة إلى الإنسان، فعندما يُصرّح الوحي بأن «الله محبة» يقصد أن الله «محبة» في ذاته، في داخله، في كيانه، بغض النظر عن الإنسان، وقبل أن يخلق الإنسان، بحيث إنه يحبّ الإنسان الذي خلقه لأنه محبة في عمقه وجوهره، ويترتب على هذا حتمية تواجد أكثر من أقنوم في جوهر الله، في داخله وكيانه، ففي الله أقانيم ثلاثة يتبادلون المحبة، فإذا كان هناك معنى للقول «الله يحب الله»، «الله يتبادل الحب مع الله»، فيجب أن يوجد في جوهر الله أكثر من طرف يدخلون في تبادل الحب هذا، وهذا ما قصده الرب يسوع عندما أوحى بطرف أول «الآب» وطرف آخر «الإبن» وطرف ثالث اسمه «الروح القدس». وبين الآب والإبن والروح القدس تبادل حب واتحاد في الجوهر:

«أنا والآب واحد» (يو ١: ٠٣)





«الذي رأي فقد رأى الأب، فكيف تقول أنت: أربا الأب؟ ألسنت تؤمن أنني أنا في الأب والأب في؟ الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال. صدقوني أنني في الأب والأب في، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها». (يوأ ٤ : ٩ - ١١).^{٢٥}

وبتفصيل أكثر لموضوع المحبة نكتشف حتمية وجود الأقانيم في الله :
 المحبة هي بذل وعطاء. فعندما نقول: إن «الله محبة»، نعني أن تلك المحبة تنتج بذلاً وعطاءً. ولكن إن تساءلنا: بذل وعطاء لمن، افترضنا أن المحبة تقتضي آخر: حتى يكون هناك محبة، يجب أن يكون هناك طرفان: طرف يعطي وطرف يستقبل. يبدو لنا إذاً أن هناك تناقض ظاهري بين كون الله واحداً وكونه محبة. ونعود للسؤال: بذل وعطاء لمن؟ تظهر هنا عدة اقتراحات أو احتمالات سنضعها ونناقش كلاً منها:
 أ. أن يكون الطرف الثاني إلهاً آخر. إن ذلك أمر مرفوض أصلاً، لأن العقل لا يقبل تعدد الألهة

ب. إن قلنا: إن الله يحب نفسه، نلغي صفة المحبة منه، لأن حب الذات عكس المحبة ونقيضها، ولأن المحبة تحتم وجود علاقة عطاء وتبادل ومشاركة.

ج. قد يقول قائل: إن الله أفاض من محبته على الخلق والبشر، فلا داعي إذاً أن نفترض داخل إطار الإلهية مجالاً آخر للتعبير عن هذه المحبة. وعلى هذا الرأي، يمكننا أن نعترض للأسباب الآتية:

٢٥- فاضل سيداروس اليسوعي، سر الله التالوث الأحد، دار المشرق بيروت، ص ٢٨، ٢٩.



لماذا يعجز المخلوق عن أن يتيح لله مجالاً كافٍ للتعبير عن محبته اللامتناهية؟

✠ لأن المخلوق محدود في الاستيعاب والقبول

إذ أن الله مهما بذل من محبة وأفاضها على مخلوقاته، لا يستطيع أن يفيض علينا كل ما لديه من محبة، فإن للمخلوق طاقة محدودة للأخذ والقبول والاستيعاب، فيكون العطاء محدوداً، لا من حيث المعطي، أي الله، بل من حيث القابل، أي الخليفة والإنسان، وبما أن الله بذل وسخاء مطلقان، فمن الواضح أن الخليفة عاجزة عن أن تتيح لله مجالاً كافٍ لتحقيق محبته اللامحدودة، إذ ليس في طاقة المحدود أن يستوعب اللامحدود، ومهما كثر عدد المخلوقات، تظل هذه الحقيقة ثابتة، إذ أن المحدود لا يمكن أن يساوي اللامحدود، والمحبة الإلهية اللامحدودة لا يمكن أن تعبر عن ذاتها بطريقة مطلقة من خلال الكائنات المحدودة، أي المخلوقات، لا يعني هذا أن الله لا يحبنا، لكن كل شخص يأخذ من حب الله بقدر استيعابه. فلا يمكن لكوب أن يستوعب من الماء أكثر من سعته، مهما صب فيه من ماء.

بخلاصة القول هو أن المخلوق عاجز تماماً عن أن يتيح لله مجالاً مناسباً للتعبير عن محبته اللامحدودة.

✠ لأن الخلق محدود في الزمن أيضاً.

الخلق له بداية، لم يكن منذ الأزل. بل ظهر في زمن ما وفي مرحلة معينة من تاريخ الكون، والسؤال هنا: هل كان الله يتمتع بصفة المحبة قبل وجود الإنسان والكون؟





الجواب طبعاً: «نعم»، ولكن مَنْ هذا الطرف الآخر الذي كان الله يحبّه قبل إنشاء العالم؟ فمن الضروري أن يمارس الله محبّته، سواء كان العالم موجوداً أو لم يكن، لذا يستحيل أن يمثّل العالم الطرف الآخر للمحبّة الإلهية، لأنّه محدود في الزمن.

❖ لأنّ الله لا يمكن أن يتقيّد بالخلق تقييداً ضرورياً.

لو كان تحقيق الذات الإلهية مرتبباً بالخلق ارتباطاً حتمياً، ممّا كان الله إلهاً، وإنّ كان الله مقيداً بالخلق حتّى إنّ المخلوق يصبح شرطاً أساسياً لتحقيق ذاته الإلهية وللتعبير عن صفاته، لا يبقى الله إلهاً، الله هو الغنيّ أي في غنى عن أي كائن آخر سواه، وهو المكتفي بذاته.

من الواضح ممّا سبق أنّ الله، حتّى يكون الله، يجب أن يتّصف بالمحبّة المطلقة، وأنّ المحبّة تقتضي الآخر، وأنّ الآخر على شكل إله آخر مستحيلة، إذ لا إله إلا الله، وأنّ الثنائية على الخليقة والإنسان مستحيلة، لأنّ الإنسان عاجز عن أن يمثّل الطرف الآخر للمحبّة الإلهية للأسباب التي عرضناها، إنّنا مضطّرون إذاً، لعجزنا عن إيجاد الآخر خارج إطار الألوهية، إلى البحث عنه داخل إطار الله ذاته، أي في داخل إطار وحدانية الجوهر الإلهي، لا في خارجه.^{٢٦}

ففى داخل الله تبادل إذاً بين الآب والابن .. ورُبّ سائل يتساءل: وما هو دور الروح القدس في ذلك؟

نقول إن الروح القدس هو روح المحبة في الثالوث القدوس، فالحب لا يصير كاملاً إلا بوجود الأفتنوم الثالث

٢٦- الأب هنري بولاد اليسوعي، منطق الثالوث، دار المشرق بيروت، ص ٢١ : ص ٢٢





لأن الحب نحو الأنا هو أنانية وليس حياً، والحب الذي يتجه نحو الآخر الذي ليس آخر سواه (المنحصر في آخر وحيد) هو حب متخصص رافض للإحتواء (exclusive love)، بمعنى أنه حب ناقص ولكن الحب المثالي هو الذي يتجه نحو الآخر وإلى كل من هو آخر (inclusive love) وهنا تبرز أهمية وجود الأَقنوم الثالث من أجل كمال المحبة.

وخلاصة القول في أنّ ”الله مَحَبَّةٌ“ أنّ في جوهر الله تبادل محبة بين الآب والإبن والروح القدس. هذه هي ماهية أو هوية الله في حد ذاته. وبناء على ذلك بإستطاعتنا فهم علاقة ”محبة الله للإنسان“. فمن فيض محبة الله، خُلق العالم، فما هو في داخل الله يخرج إلى الخارج في عملية الخلق، وقد خلق الله الإنسان على صورته كمثاله، أي مُحباً مثله لأنه هو محبة، فمحبة الله الداخلية بين الأقانيم الثلاثة خرجت خارجاً، إذ أراد الله أن يُشرك في محبته كأننا مميّزاً عن سائر المخلوقات. ومن فيض محبته له، أراد أن يُخلّصه من سلطان الخطيئة، فأختار في سبيل ذلك شعباً وقطع معه عهداً وحرّره من أرض العبودية وأدخله أرض الحرية، ومن هذا الشعب ظهر ابن الله الحبيب وقد تجسّد في ”ملء الأزمنة“ ليتّمّ العهد الجديد الأبديّ عن طريق الخلاص بموته على الصليب وقيامته من بين الأموات وتمجيده عن يمين الآب وإرساله الروح القدس للكنيسة، وقد أسّسها لتكمّل رسالته بين البشر حتى مجيئه الثاني.

فذلك كل أعمال الله، من خلق وعهد وخلص، فعلة الله الثالوث بالمحبة وفي المحبة ولأجل المحبة.^{٢٧}

٢٧- الانبيا بيشوى مطران دمياط والبراري وكفر الشيخ، مائة سؤال وجواب في العقيدة الأرثوذكسية، اعداد القس الدكتور بيشوى حلمي





وهذا ما أوضحه الأستاذ نيقوس أ. نيسوس عن الثالوث:

التثليث المسيحي يقدم الله في حركة ديناميكية داخلية تضاد كل أنواع الأنانية spoilsism (نظرية تقول انه لا يوجد شيء غير الأنا)، الثالوث القدوس: غير المولود (الآب)، المولود (الأبن)، المنبثق (الروح القدس) هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب الذي يقيم علاقة وجودية بين الأقانيم، علاقة حب داخلي، أي علاقة بين الآب ولوغسه (الكلمة) وروحه، خلال هذه العلاقة قدم الله وعداً وحققه، لذا نرى الله حياً فعلاً في التاريخ... ويقول أيضاً أن جوهر الله بكونه الحب هو حركة حب متدفقة نحو آخر تؤكد ذاتها، حركة علاقة متبادلة عميقة داخل الجوهر الألهي.

ويقول أيضاً ان التعليم الثالوثي يقوم على فهم كتابي لجوهر الله بكونه "الحب"، فلا يكون الله واحداً منفرداً ولا منعزلاً، إنما يوجد مع الأقتوميين الآخرين ولاجلهما في جوهر واحد. ففي نظره أنه يجب التمييز بين الواحد المنفرد والواحد، فالأول هو الوجدانية الفلسفية المنعزلة غير المسيحية، أما الثاني فهو الفهم المسيحي لله الواحد الثالوث الحي، أنه توحيد في اتجاه وجدانية الشركة في ذات الجوهر. فالله في المسيحية ليس لها جامداً. أنه في ذاته علاقة حب أزلية وحركة عطاء دائمة بين الآب والأبن والروح القدس.^{٢٨}

٢٨ - القمص تادرس يعقوب ملطي، الله، كنيسة اسبورتج اسكندرية، ص ١٨



٢. الله شخص

معنى أن الله شخص هو أنه ليس فكرة أو مبدأ، وليس قوة أو طاقة، وليس عاطفة أو مشاعر، مع أن له فكر ولكنه ليس فكرة، ويحس ويشعر ولكنه ليس مجرد مشاعر وعواطف وأحاسيس وإنفعالات. إنه شخص له ذات وله صفات، لذلك فعندما أقول إن الله شخص نقصد هذه الثلاث كلمات (له فكر وله إرادة وله مشاعر)، وإن كان قد إرتبط في أذهاننا كشرقيين أن كلمة شخص مرادف لكلمة إنسان لأن الإنسان هو الكائن الوحيد المتفرد المرئي الذي له هذه العناصر الثلاثة، ولكن هذا غير صحيح، فالشخص ليس هو الكائن المادي بل كلمة شخص تصف طبيعة الكائن الداخلية وليس قدراته المادية، فالإنسان شخص لأنه مخلوق على صورة الله ليس في المادة لأن الله ليس مادة بل الله روح. أنا كشخص مخلوق على صورة الله الشخص: «فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ». (تك ١ : ٧٢)، فنحن لا نشبه الله في الإطار المادي البيولوجي ولكننا على صورة الله بمعنى أننا نحمل طبيعة روحية لها شخصية مثلما الله روح وله شخصية.

والشخص مختلف تماماً عن الفرد، فأبي واحد منعزل ومستقل بذاته لا يكون شخصاً «حقيقياً» بل مجرد فرد، أي وحدة مجردة كما يتم تسجيلها في التعداد. إن التمرکز حول الذات والأنا هو موت الشخصية الحقيقية، ويصبح كل فرد شخصاً حقيقياً فقط من خلال الدخول في علاقة مع أشخاص آخرين، لقد قيل وهذا حق، أنه ما من إنسان يمكن





أن يوجد، ما لم يكن أثنان على الأقل في علاقة معاً. ونفس الشيء يُصدق على المحبة. لا يمكن للمحبة أن تقوم في عزلة، بل هي تفترض وجود الآخر. إن محبة الذات هي هي الجحيم بعينيه، وهي بالتأكيد إلغاء المحبة. إن الله أثنى بكثير من أحسن ما نعرفه في نفوسنا. فإننا كان أثنى عنصر في حياتنا كبشر هو العلاقة بين «الأنا والأنت»، فإننا لا يمكننا إلا أن ننسب نفس العلاقة، بمعنى ما، إلى كيان الله الأزلي ذاته. وهذا بالضبط ما تعنيه عقيدة الثالوث.^{٢٩}

وهذا المنطق يؤكد علم النفس أيضاً، حيث إن قمة الكائن البشرى تكمن، لا في أن يكون واحداً وحيداً، بل في أن يكون في علاقة مع آخرين، فذاتية الشخص (subjectivite) أو هويته (identite) تتكون وتتمو عن طريق الغيرية (alterite) أي بالتبادل مع الغير فليس الشخص شخصاً إلا بقدر ما هو "كائن في علاقة" أي بالتبادل مع الغير.

وإن لفظة (شخص) في اللغة اليونانية (proson) مكونة من الحرف (prso) أي "نحو" ومن الفعل (orao) أي "نظر" فالشخص هو من ينظر نحو الآخر.

وكذلك في اللغة اللاتينية، لفظة (persona) مكونة من الحرف (per) أي "نحو" ومن الفعل (orao) أي "أخرج صوتاً" فالشخص يتكلم - يسمع - نحو أي يتحاور مع.

٢٩- الاسقف كاليستوس وير. الطريق الأرثوذكسي، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، بيت التكريس، ص ٣٩



وإن كان الأمر هكذا في الإنسان، أفليس لأن الإنسان ”علي صورة الله كمثاله“؟ فإن كان ”كائناً في علاقة“ أفليس لأن الله نفسه ”كائن في علاقة“؟ فليس الله واحداً منعزلاً، بل هو أحد في علاقة. ففي داخل الله وفي صميم كيانه ”التحاور والعلاقة“ وهذا بين الأقانيم في الله الواحد.^{٢٠}

يقول المتنيح نيافة الأنبا بيمن أسقف ملوى، إجابة لسؤال حول حتمية الثالوث في الله، ولماذا يجب أن يكون الله ثالثاً؟

١- لأنه لا يمكن أن يكون منفرداً أو مجرداً أو وهماً.

وذلك لأن الوجود الحقيقي هو في الشركة، ولا وجود بلا شركة، فالشركة هي أساس الوجود، لذلك فالثالوث هو أول الوجود، وهو لا يضاف الى التوحيد وإنما يشرح التوحيد، لذلك الاعتراف بأن «الله واحد» يصبح بلا معنى ما لم يكن هذا التوحيد هو توحيد شركة أي قائم على الثالوث القدوس ... فالشركة هي التي تجعل الكائن كائناً فعلاً وأن الكينونية والوجود لا تقوم إلا بالشركة.

مع ملاحظة أن الوجود شركة معناه أن الله ليس كائناً غامضاً أو فكرة مجردة بل هو، أبوة يخلق شركة وليس مجرد بناء وجودي نتأمله من الخارج ولا نتقرب منه، إنما وجود الله وجوهه هو وجود وجوهه في أقانيم الثالوث.^{٢١}

٢٠- فاضل سيداروس اليسوعي، سر الله الثالوث الأحد، دار المشرق بيروت، ص ١٠١

٢١- المطران يوحنا زيزيولاس، استاذ علم الآباء بجامعة تسالونيكي، الوجود شركة، المركز الأرثوذكسي

للدراستات الأبائية، ص ١٨، ص ٢١





٢- لكي يكون كاملاً مكتفياً بذاته لا يحتاج إلى آخر خارجاً عنه يُشبع فيه صفاته.

كما أن مفهوم الكمال في اللاهوت يختلف عنه في الفلسفة، الفلسفة تقول إن الكمال هو أن لا يكون هناك إحتياج لأي شيء آخر، هو الإكتفاء الذاتي، ولكن الكمال في اللاهوت لا يُعنى عدم المشاركة أو العطاء، لأن الكائن الذي لا يعطى هو عملياً غير موجود. الشيء الوحيد الذي لا يعطى ولا يشترك هو الصنم، لذلك كمال الله لا يمنعه من خلق الإنسان، فكان يمكن أن يظل الله وحيداً ولكنه خلق الملائكة والعالم والإنسان. وهذا ينطبق على الأقانيم أيضاً لأن العطاء يستلزم وجود أكثر من أقنوم. لذلك لا وجود للآب الآب الابن والروح القدس وهذا ينسحب على الثلاثة أقانيم.

٣- لكي يكون له القدرة على التعامل مع غيره دون أن يصيبه تغييراً، لأن كل تعامل مع آخر بعيداً عنه هو مجرد إمتداد للفيض الذي في داخله.

لذلك فالإيمان الثالوثي يعالج مشكله صفات الله ، نذكر علي سبيل المثال: إن قلنا بأن الله محبة، حبه أزلي، فهل كان معه من يحبه منذ الأزل؟! إن كان يحب ذاته. فهذه أتانية (حاشا لله) ، إن قيل أنه كان يحب بالقوة لا بالفعل حتى يخلق السمايين والأرضيين فيحبهم، إذ ينسب لله النقص (حاشا لله). لأنه محتاج بالضرورة للخليقة كي يمارس حبه فيتحول من القوة إلي الفعل. وما نقوله عن الحب نكرره في بقية الصفات الإلهية مثل السلام والمودة. إيماننا بالله الواحد



المثلث الأقانيم يعلن حركة الحب والوحدة والسلام في الله كحركة أزلية قائمة في الثالوث. الأب يحب الابن أزلياً، والحب ليس غريباً عن الله أو أمراً إضافياً لله .. هو حب ومحبوب ومحب أزلياً، وما يمارسه معنا من حب إنما امتداد لعمله وحياته الأزلية الداخلية، إذن الثالوث يحل مشكلة صفات الله الأزلية.

٤- لكي يكون حياً، الله حياة

الله حياة وطبيعة الحياة أنها تُخرج شيئاً ما .. وتخرج هذا الشيء ليس خارجها، الشمس ترسل الشعاع وتبثق الحرارة، النور يُخرج ضوء وحرارة.^{٢٢}

٥- لكي لا يكون الله عقيماً

فإننا لا يمكن أن نقبل فكرة أن الله كائن جامد غير قادر على العطاء، فكل جوهر فعال لا بد أن يلد شيئاً، فالنار تلد ضوءاً وتعطي حرارة، والعنصر المشع يعطي طاقة نووية، والعقل البشري يلد أفكاراً حكيمة، هكذا لا يمكن أن يكون الله كائناً جامداً، فإن الابن مولود منذ الأزل، وهو النور المولود من النور. حقاً إن النور الذي لا يلد نوراً هو ظلام.

يقول القديس ديونسيوس الإسكندري

كما أن النور موجود دائماً، فواضح أن البهاء أيضاً يوجد معه على الدوام. فوجود البهاء يُفهم وجود النور، وبالتالي لا يوجد نور لا يعطي نوراً ... من ثمّ فالبهاء يُشرق قدامه منذ الأزل، ومولود منه على الدوام.

٢٢- الأنبا بيمن (المتبحر) اسقف ملوى، الثالوث، CD.





يقول القديس أثناسيوس:

لو كان جوهر الله غير مثمر فى ذاته بل هو عقيم - كما يدعون - فيكون كنور لا ينير، وكنبع جاف، أفلا يخجلون عندما يتحدثون عن قوته وطاقاته الخالقه بينما ينكرون ما هو بالطبيعة.

يقول القديس كيرلس الاسكندرى:

سيكون من الغباء بمكان ما أن ننسب للطبيعة الخالقة للكون عقماً وجفافاً، أو انها غير مثمرة، وذلك لأن كل الكائنات الحية المخلوقة هي مثمرة وغير عقيمة، وما الثمار التى تأتى منها إلا نتيجة لمشابهتها للطبيعة الإلهية فى الإثمار وعدم العقم.^{٣٣}

ونخلص من هذا إن معنى التعليم التثليث هو:

«أن الله كامل فى نفسه ومنتضمن فى كيانه كل ما هو ضرورى لكماله»

أما عقيدة الوحدةانية المصمته فمعناها

«أن الله إله منعزل عن سواه كائن بمفرده منذ الأزل» وإلا فنضطر إلى القول إن الكون ازلى وكان مشاركاً له لأنه إذا كان الله ذا صفات فينبغى أن تكون صفاته قائمة لا معطلة، فإذا قلنا بالوحدة المحضة فما المعنى أن الله محب وحكيم وقوى ومن يحب ومع من يكون حكيماً وإلى من يُظهر قوته؟ إن الصفات الأدبية بأسمى معناها لا توجد إلا بين شخصين عاقلين فلذا وجب أن يكون فى الله أقانيم (لا آلهه).

٣٣- القمص تادرس يعقوب ملطى، الله، كنيسة اسبورتج اسكندرية، ص ٢٠، ٢١



قال العلامة أوجين دبليسي:

ذلك أن الصلاح بحاجة إلى الانتشار فيكون من المناسب إذن أن يتصل «الخير الأعظم» بذاته من الأول وإلى الأبد إتصلاً كلياً، لأن إتصال صلاح الله بمخلوقاته ليس له ولا يمكن له أن يُظهر كل صفاته، أفليس حسناً إذن أن يتصل الله إتصلاً أزلياً كلياً بداخله؟ .. نعم .. وهذا ما يتم بالتالوث .

قال م. ليموان للعقليين الذين اعترضوا هذا الاعتراض

من الذي قال لكم إنه خير لله أن يحيا لذاته وحده من أن يحيا لكثيرين، وأنه خير له أن لا يكون له (غير) حقيقي على أي وجه كان ولا ولد ولا شخص يحبه كما يحب نفسه حباً كلياً وأنه خير له أن لا يكون معروفاً من كائن آخر غير ذاته، إن هؤلاء اللذين يزعمون أنهم حكماء ويسخرون من تثليثنا قائلين أنه عقيدة صيبانية، قد تصوروا هذا الإله المبارك كائناً ساكناً في عزلة وصمت أبديين وتصوروه وحيداً حبيساً في مكانه وناسكاً أخرس اللسان بلا عينين ولا حب مطوياً في لا نهايته جاثماً في عزلته الموحشة، نعم أنى لا انكر ضخامة هذا الإله البارد الذي يتصوره الفلاسفة ولكن يؤلمني فراغه العميق وكم تشبه لا نهايته صحراء. ترى من ذا الذي لا يؤثر أن يكون صغيراً بشرط أن يكون عائشاً لكثيرين على أن يكون عظيماً عائشاً من غير أن يستطيع أن يهب كل ما له لغيره ولا أن يكون محباً ومحبوباً.^{٣٤}

٣٤- المتنيح القس منسى يوحنا، شمس البر. مكتبة المحبة بالقاهرة، ص ١٠٢، ١٠٣





توضيح هام جداً :

بناءً على ما سبق يكون طريقنا للدخول إلى سر الله «الثالوث» من خلال المحبة الشخصية. ومثلما يقول كتاب «سحابة الجهل»، «قد يمكن أن يكون الله موضوع حبنا، لا موضوع تفكيرنا»، بالحب وحده نستطيع أن نعرفه، ولكن الفكر لا يستطيع ذلك أبداً.^{٢٥}

فالله لم يعلن لنا ذاته بهذه الطريقة، لكي نتشغل بمجادلات نظرية، وإنما لكي يجتذبنا إليه من خلال محبته والإعلان عن أبوته، كما يجتذب الأب الطبيعي أولاده، لكي نعرفه لا المعرفة النظرية العقلية الفلسفية ولكن المعرفة الاختبارية أي إقامة علاقة شخصية بيننا وبين الله.

وبهذا نستطيع أن ندرك لماذا لم يتحدث الرب يسوع معنا بألفاظ لاهوتية، ولم يصيغ لنا صيغ وتعابير للإيمان الثالوثي، وإنما في بساطة أعلن لنا عن الثالوث من خلال أعماله الخلاصية. لذلك فإيماننا في جوهره هو دعوة للتمتع واختبار الإله الواحد المحب للبشر.

٢٥- الاسقف كاليستوس وير . الطريق الأرثوذكسي، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد . بيت التكريس، ص ٢٩

ثالثا : الثالثوٲ اعلان متكامل



الإعلان عن طبيعة الله في المسيحية هو اعلان متكامل، ولا يوجد أدنى تعارض بين الوجدانية والثالوث ومن يظن أو يعتقد أن هناك تعارضاً بين الوجدانية والثالوث فهو مخطئ تماماً، فلا تعارض أبداً، بل هناك تكامل، فالثالوث هو كمال الوجدانية والوجدانية هي أساس الثالوث بل نستطيع أن نقول العكس، وهو أن عدم الإيمان بالثالوث هو إنقاص لكمال الله وهو أمر لا يمكن أن نقبله، فدفاعنا عن الثالوث هو تأكيد لكمال الله. ولكن دعنا نناقش هذا الأمر من خلال محورين:

المحور الأول: لماذا الاعتقاد بالتعارض

المحور الثاني: أسباب التكامل

المحور الأول: لماذا الاعتقاد بالتعارض

وهذا سؤال هام: لماذا يظن البعض ان هناك تعارضاً بين الوجدانية والثالوث؟

الإجابة: الأسباب التي دعت البعض إلى الاعتقاد بوجود تعارض

أ- السبب الأول هو المنطق الحسابي

إن فكرة وجود تعارض بين الوجدانية والثالوث قائمة كما أشرنا سابقاً إلى الفهم الحسابي للتعبيرين والمقارنة بين رقم ١ ورقم ٣ وكيف للواحد أن يكون ثلاثة وكيف للثلاثة أن يكونوا واحداً؟

ب- السبب الثاني هو المنطق اللفظي

فكيف يكون الله ثلاثة، فكلمة ثالوث تحمل معنى التعددية وهذا لا يتناسب مع الوجدانية.



ولكن التفكير بهذا المنطق الحسابي واللفظي أمر بعيد جداً عن الحقيقة فلا يجوز أن ن فكر بالله بطريقة حسابية أو نحده بالألفاظ وذلك للأسباب الآتية :

❖ الله ليس قضية حسابية عددية

فالله ليس هو ثلاثة بمعنى العدد، وليس هو واحداً بمعنى العدد، فالعدد لا علاقة له بالله، فليس المقصود هنا الأرقام فالإنسان لا يستطيع إلا أن يعدّ المحسوسات، أما الله لا يُعدّ لأن من عدّه فقدّ حدّه، ولذلك عندما يقولون عنّا أنّ عندنا ثلاثة آلهة، لأننا نقول: واحد وثان وثالث .. فالجواب على ذلك هو أننا لا نعدّ الله ثلاثة... ليس هذا عدداً .. أحدهم اسمه الأب وأحدهم اسمه الابن وأحدهم اسمه الروح القدس ..

إذ أنه يُجاب عليهم بأنه إذا كان إلهك واحداً وأنت تعدّه واحداً فهذا كأنك تعدّه ثلاثة أو أربعة أو خمسة عشر ... إلخ .. لأنك إذا عدّدته واحداً معنى هذا أنك حدّدته بواحد .. الله لا يُحدّد .. فإذا كان ثلاثة عدداً فواحد عدد أيضاً ..

إذن الله ليس ثلاثة بمعنى العدد وليس واحداً بمعنى عددي.

❖ الله ليس قضية لغوية لفظية

اللغة هي أداة التواصل بين البشر ونحن نعلم أن الله لا ينحصر في لغة بشرية، فاللغة هي محاولة التعبير عن الإلهيات لذلك الإعلان الإلهي وإن كان يعبر عن نفسه في الألفاظ، إلا أنه فوق الألفاظ ولا ينحبس فيها. فاللغة في خدمة اللاهوت وليس العكس، فالألفاظ يصيغها





الإنسان من أجل الإنسان، والله لا يحتاج لها كما يقول القديس غريغوريوس النيسي ضد إفتوميوس: «نحن لا نصنع جوهر الأشياء بل نعطيها أسماء».

ونحن لا يجب ان نفهم الإيمان من خلال الالفاظ بل العكس يجب علينا ان نفهم الالفاظ فى ضوء الإيمان واكبر مثال على ذلك هو تعبير «ابن الله» كيف فهمه كلاً من القديس أثناسيوس الرسولي واريوس الهرطوقى، فبرغم أن كلاً منهما قرأ نفس اللفظ وبنفس اللغة ولكن كل منهما فهمه بطريقة مختلفة فأريوس الذي درّس وفسّر الكتب المقدسة كثيراً علّم أن الإبن الأقوم الثاني فى الثالوث القدوس هو مخلوق، وليس إلهاً حق من إله حق، بينما القديس أثناسيوس الذي يعرف نفس اللغة التي يستخدمها أريوس برهن بطرق عديدة أن الإبن له ذات طبيعة الآب فهو الله الحقيقي بحسب الطبيعة.

فالمعيار هو الحقيقة الإلهية التي يعبر عنها اللفظ وعلى أساس (النعمة والحق) تتشكل الكلمات وليس العكس أبداً.

✠ الكلمات التي تنسب للإنسان يكون لها معنى مختلف عندما تنسب لله.

يجب القول، بادئ ذي بدء، تمهيداً لفهم الأمر، أننا إذا تحدّثنا فى الله فإنما يكون للكلمات معانٍ غير المعانى المألوفة... الله ليس مثله شئ، فالحديث عنه إذاً بكلمات، لها طبعاً صلة بالمعانى المعروفة ولكنها غيرها فى النهاية ..





مثال :-

عندما نتكلم عن الولادة فى اللاهوت ونقول أن الابن مولود من الآب، ذلك مختلف تماماً عن قولنا أن إنسان مولود من أبيه، فالتعبير (الولادة) ظاهرياً واحد .. ولكن المعنى مختلف تماماً، فعندما نقول أن الابن مولود من الآب لا نعنى أن الابن أقل من الآب أو منفصل عنه ولا نقصد الولادة بالمعنى الجسدى ولكنها ولادة روحية حقيقية أزلية بدون انفصال ولا فارق زمنى كولادة النور من النور والشعاع من الشمس والكلمة من العقل.

يقول القديس امبروسيوس اسقف ميلان:

لماذا تجد لذة بالعذاب بالأسئلة، أنت تسمع اسم ابن الله، فإما أن تلغيه أو تبطله، أو أن تقر وتعترف بطبيعته الحقيقية. أنت تسمعه يتكلم عن الرحم «والآن قال الرب جابلى من الرحم (البطن)» (إش ٩٤ : ٥)، فعليك أن تعترف بحقيقة الميلاد الذي لا شك فيه، وتسمع عن قلبه فعليك أن تعترف أنه يوجد هنا كلمة الله «.. قد انتخب الرب له رجلاً حسب قلبه» (اصم ٤١: ٣١). وعن يده اليمنى فعليك أن تعترف بقوته، وعن وجهه فأعترف بحكمته، فعندما نتكلم عن الله، فلا يجب أن نفهم هذه الكلمات، كما نفهمها حينما نتكلم عن الأجساد، إن ميلاد الابن يفوق الفهم، والآب يلد الابن بدون ألم» أي بدون تغيير^{٣٦}

٣٦- القديس امبروسيوس اسقف ميلان: شرح الإيمان المسيحى، الجزء الأول، المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية.



إذن ما هو المقصود بتعبير واحد عند الحديث عن الله ، هل المقصود الواحد الحسابي ؟

الواحد يُوصف على ثلاثة وجوه : في الجنس، وفي النوع، وفي العدد، والله لا يمكن أن يكون الله واحداً بالمعنى الحسابي أو العددي أو النوعي وذلك للأسباب التالية:

❖ «الواحد» حسابياً هو كمٌ محدود (ليس الله واحد في العدد)

فالواحد الصحيح هو كم محدود، ولذلك لا يمكن أن يكون الله واحداً بالتعبير الحسابي، فالله ليس كما وليس محدوداً، كما أن وصف الله أنه واحد بالعدد هو بمثابة وصف الله بالنقصان، لأن الواحد في العدد هو بعضُ العدد، لا كمال العدد، لأن كمال العدد ما عمّ جميع أنواع العدد، من زوج وفرد. وهذا نقض للقول بأن الله كامل، غير متجزئ. لذلك لا يمكن أن يكون الله واحد في العدد.

❖ «الواحد هو جزء من جملة كثيرة تشاركه نفس النوع (لا يمكن أن يكون الله واحداً في النوع)

مثل: هذا كتاب واحد من ضمن كتب كثيرة فالكتاب جزء من نوع هو الكتب، ولذلك الله ليس واحداً بهذا المعنى، فهو ليس إلهاً ضمن آلهة. لأن ذلك يكون نقض صريح لعبارة «لا إله إلا الله»، أي واحد ليس مثله شيء.

❖ «الواحد» فردٌ من جنس (الله ليس واحداً في الجنس)

هذا واحدٌ من الناس وهذه العبارة تعني أننا نتكلم عن واحد وهو فرد من ضمن جماعة من الناس ولا يمكن أن يكون الله واحداً في هذا



الإطار بمعنى أنه واحدٌ ضمن جنس إسمه الآلهة. فحكم الواحد في الجنس هو الذي يضم أنواعاً كثيرة مختلفة، وهذا لا يجوز في الله.^{٢٧}

وقد قال علي بن أبي طالب بخصوص هذا الأمر :

القول بأن الله واحد على أربعة أمور. وجهان لا يجوزان على الله، ووجهان ثابتان له.

• فمن قال إن الله واحد وقصد باب العدد، فهذا غير جائز، لأن ما لا ثابن له لا يدخل في باب العدد.

• ومن قال إن الله واحد وأراد النوع أو الجنس فقوله باطل، لأن الله منزّه عن كل نوع وجنس.

إنما الوجهان الصحيحان فهما:

• القول بأن الله واحد أحد منفرد عن الأشياء منزّه عنها.

• وبأنه لا ينقسم في وجود أو عقل أو وهم.^{٢٨}

فكلمة واحد «تعبّر في كثير من الأحيان عن الواحد الذي يحوى بداخله مجموعة متحدة معا فليس المقصود واحد كعدد حسابي، وهذا مستخدم كثيراً في الكتاب المقدس وإليك الأمثلة :

✠ كلمة «واحد» تعبّر عن الوحدة

يقول سفر التكوين عن آدم وحواء: «لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً» (تك ٤: ٢)، وهنا كما نرى

٢٧- بولس اليوشى، أسقف مصر، مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية، التراث العربي المسيحي، ص ١٢٥ : ص ١٢٧

٢٨- القس جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، مراجعة القس منيس عبد النور.





«الواحد» هو في الواقع وحدة قائمة على اتحاد اثنين. و«الواحد» هنا، وهو الجسد، هو الحياة المشتركة بين شخصين، الثنائية بينهما هي قاعدة الوحدة، فهما اثنان، ولكنهما واحدٌ.

كلام سفر التكوين «وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا»، أو يصيران جسداً واحداً، هذه الصيرورة هي الاتحاد، والاتحاد لا يلغي بالمرّة الثنائية، ولكنه يحول الثنائية إلى وحدانية، وتظل الثنائية قائمة ولكن في إطار وحدانية

ونفس الكلام ينطبق على الكنيسة، فهي توصف بأنها «جسد المسيح الواحد» (اكو:٤: ٢١، ٢١). .. وهذا الجسد الواحد يعني أيضاً الوحدة والحياة المشتركة بين عدة أشخاص، فهم عدة أو تعدد، ولكن هذا التعدد تجمعه الوحدة، وهو ما يعبر عنه سفر الأعمال: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا... وَكَانُوا كُلُّ يَوْمٍ يُوَاظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (أع: ٢: ٤٤-٦٤)، إذاً، التعدد قائم، وهو ما تعبر عنه كلمة «كانوا»، ولكن الوحدة قائمة، وهو ما تعبر عنه عبارة قوية جداً «كانوا معاً... نَفْسٌ وَاحِدَةٌ». وهذا يعني أن التعدد لا يعني مطلقاً التناحر والتشاحن، وإنما استخدام هذا التعدد في خلق وحدة.

❖ كلمة «واحد» في عالم الأشخاص

يؤكد الكتاب المقدس أن البشر جميعاً خلُقوا من عنصر واحد، وهو ما نسميه بالطبيعة الإنسانية، أو حسب تعبير سفر الأعمال: «وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ» (أع ١٧: ٢٦)، هذا الدم الواحد هو الحياة الإنسانية، الجسد والروح اللذان





يوجدان بشكل واحد في كل الناس.. ولكن الطبيعة الإنسانية الواحدة لا تلغي وجود تعدد وتمايز بل واختلافات في شخصيات البشر.

إذاً الوحدة أو الواحد يمكن أن يضم العنصر المشترك الواحد الذي يملكه عدة أشخاص يختلفون كأشخاص، ولكنهم يتحدون في الطبيعة. وهذا هو سر تماسك الإنسانية، ورغم الصراعات، فإن الطبيعة الإنسانية الواحدة هي مصدر الوحي والإلهام في كل العصور للدعوة إلى الوحدة والسلام.^{٣٩}

لذلك كلمه واحد عندما تنسب لله يكون المقصود بها :

✠ بمعنى التفرد :

الفعل الثلاثي «وَحَدَّ» يعني «التفرد»، ولذلك نقول: جاء وحده.. أي انفرد بالمجيء. وفي هذا المعنى جاء في الكتاب المقدس «لِلرَّبِّ إِلَهِكِ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحَدَّهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠) أي لا تعبد آخر مع الله.. إذاً «الله واحد» بمعنى أنه لا ثان له، وأنه هو وحده الذي ينفرد بالربوبية..

✠ العبادة والصلاة تقدم لله فقط

الله واحد بمعنى أنه لا تجوز الصلاة أو طلب المعونة أو العبادة أو السجود لغيره، وهنا كلمة «واحد» هي جوهر كل الكلام عن عبادة الإله الواحد.

ويقول إشعيا النبي: «لأنه هكذا قال الربُّ خالقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ مُصَوِّرُ الْأَرْضِ وَصَانِعُهَا هُوَ قَرَّرَهَا لَمْ يَخْلُقْهَا بِأَطْلًا لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا أَنَا

٣٩ - الانبا بيمن (المتبحر) اسقف ملوى، الثالوث، CD





الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرَ... اجْتَمَعُوا وَهَلُمُوا تَقَدَّمُوا مَعًا أَيُّهَا التَّاجُونَ مِنَ
الْأُمَمِ لَا يَعْلَمُ الرَّحَامِلُونَ خَشَبَ صَنَمِهِمْ وَالْمُصَلِّونَ إِلَى إِلَهٍ لَا يُخَلِّصُ»
(اش ٥٤: ٨١-٠٢)

✠ الله الواحد الخالق ولا خالق غيره

الأنبياء عندما يتكلمون عن الإله الواحد، فهم يعلنون عن هذه الحقيقة
بالشكل التالي: الله الواحد هو الإله الخالق، ولذلك لا يجوز الكلام عن
خالق آخر. وكلمة «واحد» هنا ذات مضمون مطلق، بل هي كلمة الحق،
يقول أيوب: «الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ...» (أي ٩: ٨)

✠ الله الواحد المخلص ولا مخلص سواه

الله الواحد هو الإله المخلص الذي لا يجب أن يترجى الإنسان غيره
يقول إشعياء: «وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِنَا خَلِّصْنَا مِنْ يَدِهِ فَتَعَلَّمَ مَمَالِكُ
الْأَرْضِ كُلِّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ» (اش ٧٣: ٠٢)

فالخلاص - مثل الخلق - هو عمل الإله الواحد الذي لا يمكن أن يشترك
فيه آخر، ولذلك يقول الله نفسه بهم إشعياء: «التفتوا إلي وأخلصوا
يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر» (اش ٥٤: ٢٢) ويقول
المزمور: «الله لنا إله خلاص» (مز ٠٢: ٨٦)

الكلام عن التوحيد هو الكلام عن توحيد الخالق، وتوحيد المخلص
الذي لا آخر سواه هنا نقول لا إله إلا الرب، ولا إله إلا الله، أو كما نقول
في قانون الإيمان: «نؤمن بإله واحد... خالق السموات والأرض» هو
مرتبط بالإيمان بإله واحد معروف كخالق ومخلص.



فالوحدانية المقصودة هنا ليست الواحد الحسابى ولكن الوحدانية الجامعة وكلمة واحد تأتى كثيراً معبرةً عن أكثر من واحد متحدين كوحدانية الجنس البشرى او وحدانية الكنيسة.

أذن ونحن عندما نتكلم عن الله الواحد يلزمنا أن نفهم لفظ «واحد» هنا ليس رقماً من بين الأرقام، إنما يعنى «وحدة» لا ينطق بها. فلا يمكن أن تُختبر الوحدانية أو تُفهم على انها «ترقيم»، لأن هذا يجعل الله كائناً جامداً يخضع للعدد.^{٤٠}

لهذا السبب يقول اثيناغوراس:

«إن الله واحد، لكنه ليس كفرد بشرى مخلوق وقابل للموت، مركب وقابل للإنقسام (إلى أجزاء) ،فإن الله غير مولود ولا متغير ولا قابل للتجزئه، فهو لا يتكون من اجزاء»

ويؤكد القديس اكليمنضدس السكندرى:

«الله واحد، يتعدى الواحد، وفوق الوحدانية ذاتها»^{٤١}

مفهوم كلمة «ثالوث»

إذا كانت كلمة واحد ليس مقصود بها المفهوم الحسابى فأيضاً كلمة ثالوث ليس مقصود بها المعنى الحسابى ولكن المقصود التعبير عن الكيان الألهي الذي لا يكتمل بدون الآب والأبن والروح القدس، الله وكلمته وروحه. وهذا ما شرحناه سابقاً تحت عنوان «إعلان شخصى» فالكمال الإلهي يستلزم وجود الأقانيم الثلاثة داخل الجوهر الإلهي

٤٠- جورج حبيب بباوى، هل تؤمن المسيحية بآله واحد، ص ٥ : ص ٢٠

٤١- الله، القمص تادرس يعقوب، كنيسة مارجرس اسبورتج بالاسكندرية، ص ٢٠





الواحد، فالثالوث هو كمال الوجدانية، والوجدانية الحقيقية هي التي تُبنى على مفهوم الثالوث المسيحي وإلا خرجت عن الوجدانية الحقيقية أو أُنعدمت وأصبحت وهماً وخيالاً، فمثلاً:

إذا قلنا عن الله أنه الحق - وهو كذلك - فلا بد أن يكون عندي وبصورة تلقائية (وإلا أُنعدمت وجود الصفة)، الحقاني الذي عنده الحق والذي فيه روح الحق، فيكون عندي الحقاني، والحق، وروح الحق.

نحن هنا نتكلم عن واحد أم ثلاثة؟، نعم نتكلم في المسيحية عن واحد وعن ثلاثة ولكن ليس بالمفهوم الحسابي، وفي نفس الوقت لا نستطيع ان نتكلم عن الحقاني إلا ونكون نقصد الحق وروح الحق اللذين ينبعان منه تلقائياً، ولا يمكن وجود الحقاني بدون الحق وروح الحق. وهكذا نرى أنه بدون الحقاني وروح الحق تصبح تلك الصفة غير متحققة، هكذا بدون الثالوث تصبح الوجدانية صورة مشوهة وناقصة عن الله، بل لنقل يصبح وجود الله مجرد فكرة ونظرية

وهذا الأمر يمكن ان نطبقه على كل صفات الله:

الحق: الحقاني / الحق / روح الحق

الحكمة: الحكيم / الحكمة / روح الحكمة

المحبة: المحب المحبة روح المحبة

الحياة: الحي الحياة روح الحياة

القوة: القوي القوة روح القوة^{٤٢}

٤٢- الأنبا بيشوى مطران دمياط والبرارى وكفر الشيخ، مائة سؤال وجواب في العقيدة الأرثوذكسية،

اعداد القس الدكتور بيشوى حلمي





لذلك نقول انه لا تعارض على الإطلاق، بل الثالوث هو كمال الله، هو قمة التوحيد، ولا قيام لله الحقيقي بدون الثالوث.
إذن لا تعارض بين الوحدانية والثالوث.

المحور الثاني: أساس التكامل بين الوحدانية والثالوث

أ- التوحيد هو أساس الثالوث :

فنحن عندما نتحدث عن الثالوث لا ننكر الوحدانية ولكننا نتحدث عن ثالوث الأقانيم في الجوهر الواحد وهذا هو التوحيد الحقيقي.

ولقد عبر عن ذلك القديس ديونيسيوس السكندري:

«نوسع الوحدانية حتى الثالوث، ونلخص الثالوث في الوحدانية»^{٤٢}

لذلك قال الكاتب الدكتور عثمان يحيى - الكاتب والمتصوف السوري:
«إن الثالوث في المسيحية قمة التوحيد»

فالوحدانية الحقيقية هي في الثالوث لأن التوحيد بدون ثالوث عبارة عن صورة مشوهة وناقصة عن الله لأنه مجرد نفي للشرك بربنا «لا إله إلا الله» لكن لم أعرف من هو الله، وهذا يجعل العلاقة مع الله علاقة غير واضحة، علاقة غير مفهومة لأنها قائمة على عدم معرفة الله مجرد نفي للشرك، أما المسيحية قدمت لنا الثالوث المبنى على التوحيد وقالت أن الله واحد ولم تكتفي بذلك بل قالت أن الإله الواحد هو مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس، وهذا الأمر واضح جداً

٤٢- الأب فاضل سيداروس اليسوعي، سر الله الثالوث الأحد، دار المشرق بيروت، ص ١١٥





في البسمة التي نبدأ بها كل صلواتنا حيث نقول: «باسم الآب والأبن والروح القدس»
 (باسم) مفرد، فتحن لم نقل (بأسماء) وذلك إيماناً أن التوحيد هو أساس الثالوث.

ب- لأن أساس الوجدانية تختلف عن أساس الثالوث:

فالوجدانية في الجوهر، أما التثليث في الأقانيم فحن لم نقل أن هناك ثلاثة جواهر وثلاثة أقانيم. فهذا تناقض وتعارض لا يمكن أن يقبله عقل، ولكننا نؤمن أن الوجدانية هي في الجوهر أما التثليث ففي الأقانيم وهنا ينتفي التعارض والتناقض في عقيدة الثالوث.^{٤٤}

مثال توضيحي :

إذا وُصف الإنسان مثلاً بأنه واحد وثلاثة، فإن هذا الوصف يبدو لأول وهلة متعارضاً مع الحقيقة المعروفة لدينا، لأنه لا يمكن أن يكون شخص ما واحداً وثلاثة. لكن إذا تبين لنا أنه يقصد بهذا الوصف أن الإنسان واحد من جهة المظهر، وثلاثة من جهة الجوهر، فإن الشك في صحة هذا الوصف يزول من أمامنا، لأننا نعلم أن الإنسان واحد في مظهره، وفي الوقت نفسه هو في جوهره مكوّن من ثلاثة عناصر متكاملة: هي الجسد والنفس والروح. وعلى هذا القياس، مع مراعاة الفارق الذي لا حد له بين الوجدانية الإلهية والوجدانية البشرية، لأن الأولى غير مركبة وغير محددة، أما الثانية فمركبة ومحدودة، نقول:

٤٤- المنتج الأنبا اغريغوريوس، اسقف الدراسات اللاهوتية والبحث العلمي، سر التثليث



ان الله واحداً في جوهره ومثلث في اقانيمه، إذاً الله واحداً من جهه،
وجامعاً أو شاملاً من جهة أخرى، دون أن يكون هناك أي تعارض أو
تناقض في جوهره.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي :

«من خلال الثالوث نؤمن بوحداية الله، ومن خلال الاعتراف بوحداية
الأبن والروح القدس في ذات الجوهر مع الآب يكتمل إيماننا بالثالوث»^{٤٥}

**ج- الثالوث هو نوع من أنواع الوحدانية، فهناك عدة أشكال
 وأنواع من الوحدانية :**

✠ الوحدانية المجردة

هي الوحدانية التي لا تتصف بصفة، والقائلون بهذه الوحدة ينزهون
الله، حسب أعتقادهم، عن الإِتصاف بأية صفة من صفات الكائنات،
بدعوى أن إِتصافه بأية صفة من صفاتها، يجعله محدوداً مثلها.
ولكنهم لا يدركون أن إسناد هذا النوع من الوحدانية الى الله معناها
أن الله لا يتصف بصفة، أو بالحري أنه ليس ذاتاً، أو ليس موجوداً اي
ليس له كيان حقيقي، فإلها مثل هذا لا يمكن أن يكون إلهاً حقيقياً، لأن
كل موجود حقيقي لأبد له من صفات ، على أي نحو من الأنحاء.

✠ الوحدانية المطلقة

فهي الوحدانية التي لا حد لها، وإسنادها إلى الله معناه أنه ذاتٌ

٤٥- توماس ف. تورانس، الإيمان بالثالوث، ترجمة د عماد موريس اسكندر ، د جوزيف موريس فلتس، ص





يتصف بالصفات السلبية (كعدم الإرغام وعدم الجهل)، أو يتصف بالصفات الإيجابية (كالإرادة والعلم). ولكن هذه الصفات لم يكن لها مجال للظهور أو العمل، إلا عند قيامه بالخلق، أي أن صفاته تعالى كانت موجودة بالقوة أولاً، ثم صارت بالفعل عندما خلق.

✦ الوحدة الشاملة المانعة أو الوحدة الجامعة المانعة

أي الشاملة أو الجامعة لكل ما هو لازم لوجود صفات الله بالفعل، بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها. لأنه بذلك يكون منذ الأزل الذي لا بدء له، عالماً ومعلوماً، وعاقلاً ومعقولاً، ومُريداً ومراداً، وناظراً ومنظوراً، وسميعاً وكليماً، ومُحبباً ومحبوباً، دون أن يكون هناك تركيب في ذاته أو شريك معه، الأمر الذي يتوافق كل التوافق مع كماله، واستغنائه بذاته عن كل شيء في الوجود.^٦

٦٦- عوض سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٦، ص ٧



رابعاً: الثالثوث إعلان خلاصي



لا توجد عقيدة مسيحية إلا ولها علاقة بحياة الإنسان، فالعقيدة إعلان إلهي للإنسان ومن أجل الإنسان، وأهم قضية في حياة الإنسان هي قضية خلاصه، ولا خلاص بدون الإيمان بالثالوث.

١- الثالوث أساس خلاصنا

الخلاص هو شركتنا مع الله، وهي شركة لا وجود لها إلا بتجسد الابن الذي وهبنا الروح القدس، فالثالوث حتمي لخلاص الإنسان ورده إلى حضن الله مرة أخرى، فهو ليس مجرد ترف فكري عن الله ولكنه حقيقة خلاصية نعيشها ونختبرها في حياتنا في كل يوم، فالإيمان بالله هو لأجل الإنسان ولأجل بناء الإنسان ولأجل خلاص الإنسان، ولا توجد أية عقيدة في المسيحية أعطيت لمجرد البحث الفكري، ولكنها إعلانات ضمن خطة إلهية لخلاص الإنسان وإعطاءه الحياة الأبدية.

لذلك السؤال الذي يفرض نفسه دائماً : لماذا الثالوث ؟، والإجابة ببساطة: الثالوث هو أساس خلاصنا. لذلك يطلق عليها القديس غريغوريوس النيسى «العقيدة الخلاصية»، وهذا معناه أن هدم عقيدة الثالوث أو إنكار أحد الأقانيم الإلهية الثلاثة معناه ببساطة هو هدم وإنكار خلاصنا، ولذلك كان دفاع كثير من آباء الكنيسة ضد الهرطقات التي تنكر الثالوث أو تنكر الوهية أحد الأقانيم، بأن ذلك يعرض قضية خلاصنا للخطر، لذلك كان انطلاقهم للدفاع عن الإيمان بالثالوث ليس من منطلق فكري نظري، ولكن من منطلق اختباري خلاصي.

هذا مايؤكدُه لنا القديس ايريناؤس في كتابه الكرازة الرسولية أن الإيمان بالثالوث الأقدس هو أساس خلاصنا



«هوذا تعليم إيماننا المنهجي وأساس خلاصنا وركن بنائه: إنَّه الله الآب الذي لم يُخلق ولم يولد ولا يرى، الإله الأوحد، خالق كل شيء، هذا هو البند الأول من إيماننا. أما البند الثاني فهو التالي: إنَّه كلمة الله، وابن الله، ربنا يسوع المسيح، الذي ظهر للأنبياء في الشكل الذي وصفوه به في نبؤاتهم ووفق تدبير الآب الخاص، الكلمة الذي كَوَّن كلَّ شيء، والذي في ملء الأزمنة، صار إنساناً ليعيد كلَّ شيء ويضبطه، فوُلد من البشر، وصار منظوراً وملموساً ليبيد الموت ويظهر الحياة، ويعيد الوحدة بين الله والإنسان. أما البند الثالث فهو الروح القدس الذي نطق بالأنبياء، وعلم آباءنا الأمور الإلهية، وقاد الصديقين في طريق البر. وهو الذي، في ملء الأزمنة، أفيض بشكل جديد على البشرية، فيمَا كان الله يجدد الإنسان على الأرض كلها» (الكراسة الرسولية ٣ و٦).^{٤٧}

ولذلك ففي الكتاب المقدس - لا سيما العهد الجديد - لا نجد فصلاً خاصاً عن عقيدة التالوث ولا شرحاً مستقلاً لها. بل إذا حصرنا عدد مرات الإعلان عن التالوث بشكل واضح مباشر أو غير مباشر، فإن هذه المناسبات كانت إعلانات مرتبطة بوقائع الخلاص، لذلك استعلن لنا التالوث عبر تدبير الخلاص الذي بلغ كماله في شخص الرب يسوع.

المناسبات التي أُعلن فيها عن التالوث

- أعلن عن التالوث بشكل مستتر في بشارة العذراء (لوا: ٦٢ - ٥٣):

«وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ الْمَلَاكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةِ مَنْ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءٍ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ

٤٧- القديس إيريناؤس، الكرازة الرسولية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ص



اسْمُهُ يَوْسُفَ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَاكُ وَقَالَ: «سَلَامٌ لَكَ أَيُّهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! ٣ فَقَالَ لَهَا الْمَلَاكُ: «لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ مَلِكُهُ نَهَائَةً». فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَاكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهُ: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلُّكَ، فَذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُوسُ الْمُؤَلَّودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ».

- وأعلن بشكل واضح في معمودية المسيح في الأردن (مر ١: ٩-١١)
«وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوْحَنَّا فِي الْأُرْدُنِّ. وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدْ انْشَقَّتْ، وَالرُّوحُ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ. وَكَانَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ»

- وأعلن بشكل رمزي في التجلي (مت ١٧: ١-٨)
«وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا أَخَاهُ وَصَعَدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُفْرَدِينَ، وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قَدَامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ، وَإِذَا مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ تَكُونَ هَهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعُ هُنَا ثَلَاثَ مِظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً،



وَلِإِيلِيَّا وَاحِدَةً»، وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيْرَةٌ ظَلَلَتْهُمْ، وَصَوْتُ مَنْ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ أَسْمَعُوا، وَلَمَّا سَمِعَ التَّلَامِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا.

وكل مناسبة من هذه المناسبات الثلاث تعد أحد أركان علاقة الله الجديدة بنا.

فالثالوث مرتبط بالتجسد في المناسبة الأولى، (التجسد)

ثم هو أساس المعمودية في المناسبة الثانية، (المعمودية)

أما في المناسبة الثالثة فهو مرتبط بخيرات الدهر الآتي، ملكوت الله في قوته وبهائه (الأبدية).^{٤٨}

✠ في المناسبة الأولى :- الثالوث مرتبط بالتجسد

فإن الأقانيم اشتركوا معاً في عملية التجسد الإلهي:

الابن هو الذي تجسّد، والآب والروح القدس اشتركا مع الابن الكلمة في تهيئة الجسد الذي اتخذه من العذراء مريم.

«لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: «ذبيحة وقرباناً لم ترد، ولكن هيئات لي جسداً. بمحركات وذبايح للخطية لم تسر. ثم قلت: هأنذا أجيء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله» (عب ٥: ٧-٥). وقيل عن الجسد أو الناسوت الذي تكوّن في بطن العذراء واتحد به لاهوت الإبن الكلمة منذ اللحظة الأولى للتجسد أن «الذي حبل به فيها هو من الروح القدس» (مت ١: ٢٠)، وقال الملاك

٤٨ جورج حبيب بباوي، حوار حول الثالوث، ص ٢ : ص ٤



للغذراء «الرُّوحُ القُدُسُ يَحُلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ العَلِيِّ تُظَلِّكُ، فَذَلِكَ أَيْضًا القُدُّوسُ المَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ». (لوا: ٥٣).

لقد جاء ابن الله في الجسد لا لكي يعلن لنا ذاته فقط، بل ليعلن لنا الآب أيضًا «الذي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩)، ولذلك، التجسد هو مرآة الثالوث، ففي الجسد يظهر لنا الابن الوحيد الذي وحده تجسد، ولكن في ذات الجسد يعلن لنا الابن محبة الآب ويعطي لنا الروح القدس.

ونحن لا نستطيع أن نتذوق ثمار عمل المسيح الابن الوحيد في عزلة عن الآب والروح القدس، وعمل المسيح الأساسي أن يردنا إلى الآب لكي يهبنا الروح القدس.

✠ والمناسبة الثانية :- الثالوث مرتبط بالمعمودية

وهي مرتبطة بالمناسبة الأولى، تؤكد لنا العلاقة القوية بين الثالوث والمعمودية، حقيقي أن الرب اعتمد، ولكن معموديته كانت مثالاً لمعمودية الكنيسة ذلك أننا مثل الرب نعتمد فيه وباسم الآب والابن والروح القدس ونُمسح بالميرون بعد خروجنا من الماء مباشرة ومثله تُعلن بنوتنا في المعمودية ولكن على أساس بنوة الابن الأزلي أي أن بنوتنا تأخذ وجودها من بنوة الرب وفيه وحده نصبح أبناء للآب.

لذلك كانت وصية السيد المسيح لتلاميذه: «اذهبوا وتعلمنوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩) وهكذا التلاميذ والرسل كانوا يعمدون باسم الثالوث، في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني والعدد الثامن والثلاثون يقول القديس بطرس



الرسول: «تُوبُوا وَلِيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نَغْفِرَانَ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدِ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا» (أع ٢: ٨٣)

✠ والمناسبة الثالثة :- مرتبط بخيرات الدهر الآتي

لا يمكن أن نتحدث عنها الآن، ولكنها كما نعرف كانت إعلانات الدهر الآتي لنا في تجلي الرب على الجبل أمام تلاميذه وهناك نادى الآب وجاء الروح القدس في شكل سحابة وسطع نور اللاهوت حتى من ثياب المسيح وهي حالة البهاء الذي سوف نناله لأنه «الذي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ». (فى ٣: ١٢)

ولذلك فكل تذوق لخيرات الدهر الآتي هو تذوق للحياة فى الثالوث، وتكفيينا كلمات الرب نفسه عندما عرف الحياة الأبدية بأنها معرفة الثالوث (يو ١٧: ٣-١).

٢- الثالوث وتديير خلاصنا

التديير هو عمل إلهي مُعلن فى الزمان وأساسه فى الأزلى، والخلاص هو عمل ثالوثي وتديير أزلي ولكنه تم فى الزمن من خلال الخلق، التجسد، الفداء، إرسال الروح القدس وسيكتمل فى الأبدية ، فالخلاص هو عمل الأقانيم الثلاثة، وإن كان كل أفتوم له دور متمايز عن الآخر فى عمل الخلاص «فَكَمَّ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحِ أَرْلِيِّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلَا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللَّهَ الْحَيَّ» (عب ٩ : ٤١) .





وإليك بعض أقوال الآباء في أن كل عطية خلاصية أصلها في الآب
تتحقق خلال الابن في الروح القدس.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص : «كل عملية تأتي من الله إلى
الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتي
إلينا من خلال الابن وتكتمل في الروح القدس».

القديس أثناسيوس : «الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في
الروح القدس».

وأيضاً القديس أثناسيوس « الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة
في الروح القدس».

أ- الخلق

نحن نؤمن أن التالوث القدوس هو الخالق، وأن الأقانيم الثلاثة يعملون
معاً مع تمايز دور كل أقنوم في عملهم الواحد. فالسيد المسيح يقول
«مهما عمل ذلك (أى الآب) فهذا يعمله الابن كذلك» (يوه: ٥: ٩١). ومثلما
قيل في المزمور «بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها»
(مز ٣٣: ٦) وهذا معناه أن الآب قد خلق السماوات ومن فيها بكلمته
وبروحه القدوس. وفي سفر التكوين كُتِبَ «في البدء خلق الله السموات
والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله
يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور» (تك ١: ١-٣).
ويلاحظ اشتراك الروح القدس والكلمة مع الآب في خلق السماوات
والأرض في اليوم الأول للخلق، وبالتالي باقي أيام الخليقة الستة.



ب- التجسد

وفى التجسد كوّن الروح القدس ناسوتًا للابن ليتحد به اتحادًا أقتومياً (أي اتحاد لاهوت الابن بناسوته) فى نفس لحظة تكوين ناسوت الابن. كما قدّس مستودع العذراء مريم. وقال الابن فى المزمور الأربعين واقتبسها أيضًا القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين «ذبيحة وقربانًا لم تُرد ولكن هيأت لي جسدًا. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت هأنذا أجيء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله» (عب ١٠: ٥-٧). ولذلك قال القديس كيرلس الكبير إن الله الكلمة قد كون لنفسه ناسوتًا من بطن العذراء مريم بواسطة الروح القدس وهذا يتفق مع ما قاله السيد المسيح أن كل ما يعمل الآب يعمل الابن أيضًا «لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمل الابن كذلك» (يوه: ٩١). وقال أيضًا «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يوه: ٧١).^{٤٩}

٣- الثالوث وتحقيق الخلاص

عقيدة الثالوث فى الله الواحد هى التى تحقق لنا استحقاقات وبركات الفداء، فيستحيل أن نصير ابناء لله دون الثالوث، ولا نستطيع أن ندعى معرفة حقيقية لله دون الثالوث، أو ندخل فى شركة وعلاقة شخصية دون إيماننا بالثالوث، لذلك فإن حاجتنا إلى الثالوث هى احتياجنا لأن نكون مسيحيين مسحنا بالروح القدس وصارت لنا شركة وعلاقة مع الآب والابن فى الروح القدس.

٤٩- نيافة الأنبا بيشوي، مطران دمياط والبرارى وكفر الشيخ، الجامع المسكونية والهرطقات، /st-takla.org





أ- فالثالث هو الطريق الوحيد للتبني

عطية التبني التي أشار إليها الرسول بولس حيث قال: «لأنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ، فَأَوْلِيَّتُكُمْ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّيِّ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: يَا أَبَا الْأَبِّ». الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنَّ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ». (روا ٤: ٧١.٨)

والبنوة التي يُشار إليها هنا ليست البنوة الجسدية بل البنوة الروحية والميراث الذي يرتبط بهذه البنوة ليس الميراث الأرضي، بل الميراث الروحي السماوي. هذه البنوة لا يحظى بها إلا الذين قبلوا المسيح وآمنوا به، هي بنوة لا ترجع إلى تناسل طبيعي، هي بنوة لم تكن نحن فيها أولًا ولكننا صرنا إليها، اكتسبناها.

قال عنها الرسول يوحنا في إنجيله: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو ١: ٢). لذلك عندما قال السيد المسيح عن يوحنا المعمدان: «لَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (لو ٧: ٨٢)

فإن القديس كيرلس الأسكندري يفسر هذه الآية على النحو التالي: «إن يوحنا المعمدان وكثيرين من الذين سبقوه هم مولودون من النساء ولكن الذين نالوا الإيمان لا يعودوا يدعون مواليد النساء بل مولودون من الله» كما جاء في (يو ١: ٣) «الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ»، فالمؤمنون ولدوا ثانية



وصاروا بالتبني أبناء لله. كما يقول أيضًا الرسول بطرس «مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعِ يَفْنَى، بَلْ مِنْ مِمَّا لَا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ» (إبط٢٢:١).

فأولئك الذين ليسوا من زرع يفنى بل بالعكس ولدوا من الله هم أعظم من أي مولود من امرأة. والذين ولدوا من النساء لهم فقط آباء أرضيون، أما المؤمنون الذين ولدوا الميلاد الثاني بالمعمودية، فلهم الآب السماوي، وهكذا صارت لنا بنوة جديدة وأبوة جديدة ومن خلال هذا نفهم قول السيد المسيح للمؤمنين الذين يجب أن يرتبطوا بالآب السماوي: «لَا تَدْعُوا لَكُمْ آبَا عَلَى الْأَرْضِ، لَأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت٩:٢٢).

إن السيد المسيح لا يدعونا أن ننكر الأبوة الأرضية، ولكن أن نخضع هذه للأبوة السمائية وفقًا لما قاله الرسول بولس في رسالته إلى أفسس: «أَيْهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي الرَّبِّ لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ». (أف١:٦).

فطاعتنا لوالدينا في الأرض يجب أن تكون في إطار طاعتنا للآب السماوي، وعن هذه البنوة الروحية التي وهبها لنا التالوت القدوس قال الرسول بولس «ثُمَّ بِمَا أَنْتُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِحًا: يَا أَبَا الْآبِ» (غلا٦:٤).

إن روح الإبن هنا هو الذي أعطانا أن نخاطب الله كأب لنا ونصرخ إليه قائلين: «يا أبَا الْآبِ». فالرسول بولس هنا يؤكد أن السيد المسيح حقيقي قام من الأموات وفتح لنا الفردوس، حينئذ أعطى روح التبني لأولئك





الذين آمنوا به، ونفس هذا التعليم هو ما أكده القديس يوحنا الرسول في إنجيله. فلم يكن هناك روح تبني من قبل قيامة المسيح وصعوده إلى السماوات حيث يقول «... لِأَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِدَّ بَعْدُ» (يو ٩٣: ٧)، أي أن يسوع لم يكن قد قام من الأموات وصعد إلى السماوات، لذلك فروح التبني لم يكن موجوداً في الناس بعد، ولكن حينما صعد كلمة الله الوحيد إلى السماء أرسل المعزي الروح القدس ليتمكث فينا بواسطة المسيح، والروح القدس هذا هو الذي أعطانا روح التبني.^{٥٠}

حتمية التالوث للتبني

التالوث هو العقيدة الوحيدة التي تجعل الإنسان ابناً لله، فقد أعلن الله أنه هو الأب الذي يريد أن يتبنى الإنسان، وهنا كشف عن أبوة من خلال (أقتوم الأب).

وعندما جاء الإبن إلينا جاء لكي يجعلنا أبناء لله لذلك في إنجيل يوحنا قيل عن الإبن: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو ١: ٢١). وهنا كشف عن البنوة لنا من خلال (أقتوم الابن) ، فالله الأب هو مصدر الأبوة

الله الابن هو مصدر البنوة

وهذه البنوة ليست بنوة جسدية ولكنها بنوة روحية يهبنا إياها (أقتوم الروح القدس) وهنا كشف عن أقتوم الروح القدس.

٥٠ - د موريس تاووضروس، التالوث وفاعليته في خلاصنا، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.



ونحن لا نستطيع أن نتكلم عن أبوة الله لنا ما لم يوجد في الله ما يحقق هذه الأبوة .. ولا نستطيع أن نتكلم عن البنوة له ما لم يوجد في الله ما يحقق هذا البنوة ويجعلها ممكنة (أقنومي الآب والإبن)

ولأن طبيعة الله وحدها هي التي تسمح للإنسان بذلك، أي خصائص وإمكانات الطبيعة الإلهية .. لذلك الأبوة والنبوة في الله هي التي تجعل هذا التبني ممكناً.

الأبوة في الله ليست صفة عارضة بل الأبوة هي (أقنوم)
البنوة في الله ليست صفة عارضة بل (أقنوم)

وهكذا نرى أن وجود الأقانيم في الله الواحد هو الذي يجعل تبني الإنسان مؤكداً.

س: هل يمكن أن يحدث التبني بدون الثالوث؟!

غير ممكن بالمرة لأن تبني الإنسان يجب أن يعتمد على خصائص أساسية في الله .. إذا لم تكن هذه الخصائص موجودة أصبح تبني الإنسان مستحيلاً.

وهذه الخصائص هي وجود الأبوة والبنوة في الله الواحد.

فكل أقنوم يؤدي عملاً معيناً في دائرة علاقة الله بالإنسان.

إن أهم ما تحرص عليه المسيحية هو تأكيد علاقة الله بالإنسان وهذا هو جوهر عقيدة الثالوث، فبدون الثالوث يصبح التبني مستحيلاً. فأذا





كنت تريد علاقة تبني مع الله فيجب عليك الإيمان بعقيدة الثالوث اى الله الواحد المثلث الاقانيم.

ب- الثالوث هو الطريق الوحيد نحو معرفة حقيقية الله

ونحن عندما نتكلم عن معرفة الله لا نعنى مجرد المعرفة السطحية الخارجية ولا مجرد ترديد بعض العبارات عن الله دون علاقة واضحة معه ولكننا نتكلم عن علاقة شخصية وحب واختبار وصداقة مع الله.

والثالوث هو الطريق الوحيد نحو هذه المعرفة لأن التوحيد «لا إله إلا الله» هو عبارة عن نفي خطأ وهو خطأ الشرك بالله ولكن دون تقديم من هو الله.

مثال

كمثل شخص تسأله عن اسمه فيقول إسمي ليس (فلان) ولكن لا يذكر لك من هو، فهو ينفي عن نفسه ولكنه لم يقدم لنا من هو شخصه، هل يمكن أن نقيم معه علاقة على هذا المستوى هل يمكن أن أقول أنى أعرفك، وانا لا أعرفك من أنت، أذن أعلن عن طبيعتك عن نفسك وعندما يمكن أن أبني معك علاقة.

هكذا الثالوث أعلن لنا أنه لا يوجد سوى إله واحد وفى نفس الوقت قدم لنا من هو الله ؟!

هو الآب الذي يريدك أن تكون ابناً مكرماً وليس عبداً مذلولاً. فالله عرفناه من خلقته أنه مصدر الوجود وأصل كل وجود. (الله الآب) عرفنا محبته الشديدة للبشر من الفداء الذي قدمه (أقتوم الابن)



عرفنا مواهبه وعطاياه وسكناه فينا من خلال فعل الروح القدس في الكنيسة وحياتنا (الروح القدس).

ج- التالوث هو الطريق الوحيد نحو شركة قوية مع الله

التالوث مدخل ضروري جداً للشركة مع الله والتمتع به وهذا لا يحققه التوحيد فقط لأنه بدون الأقانيم يظل الإنسان غريباً عن الله عاجزاً عن التمتع بشركة حقيقية مع الله، لأنه إن كان الله واحد وحدانية مطلقة فلا «تبنى» وإن لم يكن هناك (تبنى) فلا شركة فالتوحيد يجعل الله مجرد فكرة في ذهن الإنسان لا قيمة لها، فكيف يمكن للإنسان أن يقيم شركة مع إله منزه عن كل ما سواه، مع إله منزه عن الخلائق .. لذلك فالوحدانية المجردة تحرم الإنسان من أي شركة مع الله، أما التالوث فهو الدخول إلى عمق الشركة مع الله، هو الدخول إلى حضن الآب بالأبن في الروح القدس.

فالتالوث يشجع الإنسان بالارتباط بالله، لأن التوحيد فقط هو عزل الله عن البشر والبشرية ويجعل الله مجرد فكرة في عقل الإنسان، الله في سماه والإنسان في الأرض، والله لا يريد أي علاقة فهو واحد وحيد مرهوب فكيف يمكن أن نفكر في الارتباط بإله مخيف ومرعب وخاصة أن العبادة الصحيحة لله يجب أن تكون ليس خوفاً ولا طمعاً في شيء ولكن حباً.

أم من خلال التالوث فقد عبر الله الفجوة بينه وبين الإنسان عندما أرسل الآب الإبن متجسداً لأجل خلاص العالم وأعلن عن الله الذي نريدنا أن نكون أبناء له من خلال فعل روحه القدس.^{٥١}

٥١- د / جورج حبيب بياوي، حوار حول التالوث، ص ٣٣ : ص ٣٦





د- الثالوث وحياة الصلاة

يشرح د موريس تاووضروس أهمية عقيدة الثالوث للصلاة فيقول:
 إننا عندما نتوجه إلى الله فيجب أن نضع في ذهننا أن الله الذي نتكلم إليه هو الآب والإبن والروح القدس. فإذا صلينا «يا أبانا» فتحنا هنا نصلي إلى الآب بكلمته وروحه. إن الآب الذي نصلي إليه هو الله الذي له تاريخ معنا، الله الذي تعامل معنا وتعاملنا معه. الله الذي خلقنا ووهبنا نعمته وعرفنا الخير من الشر، وأوصانا لتسير ونسلك في طريق الكمال، ولكن نحن عصينا الله وخالفنا وصاياه، وكان لابد أن نُعاقب ولكن في رحمته وفي حبه لنا بذل إبنه الحبيب من أجل غفران خطايانا وتجسد السيد المسيح وصلب وتآلم ومات وقام لكي يعود بنا إلى حالتنا الأولى التي كنا عليها قبل السقوط. (عندما نصلي) يجب أن نضع أمامنا تاريخ الخلاص الذي دبره الله. أي أننا يجب أن نصلي في الثالوث. ولو رجعنا إلى الصلاة الربانية التي علمها لنا السيد المسيح لرأينا أنها صلاة خلاصية وتشير إلى فاعلية الأقانيم الثلاثة في حياتنا.

فعندما نقول «أبانا الذي في السموات»، فتحنا هنا لا نخاطب الله كمجرد خالق ولكننا نخاطبه كأب ونحن في وضع الأبناء.

إن لفظ «خالق» لا يتضمن البنوة. فنحن نقول الله «خالق العالم»، لكننا لا نقول الله أبو العالم وإذن فهنا وضع متميز لنا يضعنا فوق المخلوقات. ولفظ الآب أيضاً يذكرنا، بأننا حصلنا على امتياز لم يكن لدينا في



حالة الخطية، فقد كنا فى وضع العبيد، وأما الآن فنحن فى وضع الأبناء.

إذن نتذكر كيف حررنا الآب من العبودية ووهبنا مرتبة البنوة. وهذا ما يشهد به الرسول بولس فى قوله: «ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مَوْلُودًا من امرأة، مَوْلُودًا تحت الناموس، ليُفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ الناموس، لننال التَّبَيُّ. ثُمَّ بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا: «يا أبا الآب». إذا لست بعد عبدًا بل ابنًا، وإن كنتَ ابنًا فوارثٌ لله بالمسيح. « (غلا ٤: ٤-٧).

ونحن نلاحظ فى هذه الآية (أن الرسول بولس يشير إلى الثلاثة أقانيم). ومن أجل هذا فإننا نقول أن الرسول بولس يصلى فى الثالوث.

فالرسول بولس يشير إلى إرسالية الله الآب للإبن وللروح القدس فى زمن الخلاص. وما ترتب على هذه الإرسالية من آثار ونتائج. إرسالية الإبن تشير إلى التجسد.

ويقول الرسول بولس أيضًا إن الله أرسل روحه ويسميه «روح الإبن». وروح الإبن يصرخ فى قلوب المؤمنين «يا أبا الآب»، وهذا دليل على ظهور الله فى حياة البشر ودليل أيضًا على أننا نلنا أحقية البنوة لله. والبرهان على أننا أبناء الله هو حلول روح الله فى قلوبنا.

إذن لا يمكن لنا تفسير الصلاة والتسبيح فى ضوء عقيدة التوحيد فقط، لأنك تتكلم مع إله غامض قوة غامضة مبهمة غير معلنة، لأن الصلاة معناها صلة وهل هناك علاقة تقوم من جانب واحد بالتأكيد





هي علاقة فاشلة، أما الثالوث فهو الذي يجعل للصلاة قيمة وهدف وحيوية لأنه يعطى للإنسان أن يدخل إلى محضر الله ويتقابل معه ويقيم معه علاقه لأنه ابن يتكلم مع أبيه. لذلك يشكر ويسبح ويفرح، هذه هي أعظم عطية ونعمة قدمها لنا الثالوث.

وأخيراً بعد أن تكلمنا عن بركات التبني التي ننالها من خلال الإيمان بالله المثلث الأقانيم، نفترض الآن سؤالاً هاماً وهو ماذا يمكن ان تعطينا فكرة الإيمان بالوحدانية المصمتة التي بلا أقانيم، أو ماذا يقدم لنا هذا الإيمان عن الله.^{٥٢}

التوحيد المصمت ماذا يقدم للإنسان

- يقدم للإنسان إلهاً جامداً لا يتحرك ولا يسمع ولا يحب، فالله هو فى الحقيقة مجرد فكرة وقوة مجهولة يخاف منها الإنسان ويرتعب منها ولا يقوى على إقامة شركة أو علاقة مع هذه القوة المجهولة.
- يقدم للإنسان علاقة عبودية، علاقة سيد بعبد، علاقة لا ثمر فيها .. وفى النهاية لن يجد الإنسان نفعاً من علاقته بالله فينصرف عن الله ويعيش بعيداً عنه.
- فالتوحيد المصمت الساكن الذي بدون أقانيم عبارة عن فكرة عاطلة عن الله بلا ثمر، لأنها وحدانية تخاف على مركز الله وتحرم الإنسان من أى علاقة معه، كما لو كان الله يواجه خطراً إذا دخل فى علاقة مع الإنسان وكأن الإنسان يهدد الله. لذلك نحن نرفض

٥٢- د موريس تاووروس، الثالوث وفاعليته فى خلاصنا، المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية.



هذا التوحيد المصمت الذي يجعل الله فكرة في عقل الإنسان، ولا علاقة بين الله والإنسان.

- إذا كنت تريد علاقة سطحية مع الله فهذا هو التوحيد المصمت الجاف، أما إذا كنت تريد علاقة قوية عميقة فهذا عن طريق التالوث. لذلك نحن نتمسك بالتوحيد، توحيد الله المثلث الأقانيم الذي يجعلنا ندخل في علاقة وشركة مع الله تعتمد هذه العلاقة على خصائص أساسية في الله وهي الأبوة والبنوة ويهبها لنا الروح القدس.

لذلك التوحيد الذي ينادون به هو ليس توحيداً بل عزل الله عن البشر وتصوير الله كسيد والإنسان كعبد لا يستطيع التعرف أو الاقتراب (ممنوع الاقتراب أو التصوير) وهذه الصورة تابعة من بيئة شيخ القبيلة الذي يأمر وينهي، وصورة السادة والعبيد، فالعبد لا يرتفع مهما فعل لمرتبة الإبن.

ونحن لا يمكن أن نقبل هذا لأنه قبل أن يكون إهانة للإنسان هو إهانة لله، لأن الله لم يخلق الإنسان ليتسلط أو يتسيد عليه ولكن خلقه لأنه أحبه قبل أن يخلقه وخلق له لكي يتمتع بحبه «لم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتي بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك».

نحن لا يمكن أن نقبل هذا الفكر الانعزالي عن الله لأننا نؤمن بحب الله، وعلاقة الإنسان بالله هي علاقة بنوية وليست علاقة عبودية.





خامساً: الثالث اعلان الهي

١ - اعلان مصدره الله

إيماننا المسيحي عن الله، ليس نتاج أفكار إنسانية، أو محاولات بشرية، ولا هو التطور الطبيعي للتصورات البشرية المتعاقبة عن الله، ولكن هو إعلان الله عن نفسه، مصدره الله وحده، ولا علاقة له بالفكر الإنساني والتصورات البشرية، أو الظروف الحياتية، فحقيقة الله في المسيحية، حقيقة إلهية تتجاوز كل التصورات الإنسانية، والأفكار البشرية - بما فيها من تشوهات ونقائص - لتعلن لنا صورة الإله الحقيقي، وهذا عكس ما ظنه البعض مثل سيجموند فرويد Sigmund Freud عندما قال: "أن الله هو مجرد صورة إخترعها الإنسان ليُشبع إحتياجه الشديد لشخص يرنو اليه ويعتمد عليه"، وهذا كلام خاطيء تماما، لأن ما نؤمن به بخصوص شخص الله ليس هو إيماننا الخاص وإيحاءاتنا الذاتية، ولكنه في الحقيقة إعلان الله عن نفسه، فهو إعلان إلهي مصدره الله، لا دخل للإنسان فيه، لأن الكثيرون يصنعون آلهة على صورتهم وبحسب تفكيرهم، فلا تكون الصورة الحقيقية ولكنها صورة أفكارهم عن الله، وبالتالي تأتي مشوهة، أو ناقصة غير كاملة، أو خاطئة تماما عكس الحقيقة، وما أكثر تلك الأفكار عن الله، ولذلك ما أكثر احتياجنا أن يعلن الله عن نفسه فلا نخلط بين خبراتنا (المشوهة والناقصة والمتأثرة بالبيئة والتربية والنشأة والآخريين المحيطين بنا)، وبين ما يقول الله عن نفسه من خلال إعلانه هو شخصياً عن نفسه، بهذا تتميز المسيحية عن سائر الديانات في نظرتها إلى الله، فإنه المسيحية لم يخرعه المسيحيون، ولكنه هو من أعلن عن نفسه، لأن الله



لا يمكن أن يُفهم إلا من خلاله هو ذاته، وقد أشار الى ذلك القديس ايريناؤس قائلاً:

”نستطيع أن نقول إن الله فقط هو الذي يَعْرِف ذاته، وبالتالي لا يمكن معرفة الله إلا من خلال الله فقط، وبما أن الله وحده كائن داخل سرمديته ولا نهائيته الذاتية، فإنه هو وحده الذي يستطيع أن يَعْرِف ذاته بطريقة تتفق تماماً مع من هو الله، وبما يتناسب مع كينونته وبما يلائم طبيعته بكونه الله“

ولذلك نقول في القديس الغريغوري ”أعطيتني علم معرفتك“، فنحن نستمد رؤيتنا عن الله من الله نفسه، وليس من أفكار وخبرات عنه، التي غالباً ما تكون مشوهة، فيرفض الناس الله الذي خلقناه على صورتنا ومثالنا، وهم بذلك لم يرفضوا الإله الحقيقي، وإنما يرفضون الإله الذي نصنعه على شاكلتنا، ويجدر بنا الإشارة هنا الى أن أحد أسباب الإلحاد المعاصر هو تلك الصورة المشوهة عن الله والتي اختلطت بالبيئة والمجتمع والسياسية، والتي تعتبر بالحقيقة ”أصناماً عن الله“، وهي لا تمت للمسيحية والهنا الحى بأية صلة، والتي بسببها يتخذ البعض موقفاً مضاداً من الله والإيمان به، كالإله المنعزل، أو المتجبر، أو المتسيد، أو المستبد، أو المسيطر، أو المرعب المخيف، أو القاضى الديان، عدو الحرية والإبداع والإنسانية، فالأصنام هي تلك التصورات التي نكوّنها عن الله على ضوء ميولنا ورغباتنا فنتعبد لها معتمدين إننا نعبد الإله الحقيقي، فيما لا نعبد بالحقيقة سوى أنفسنا، وقد قال فولتير كلمة رهيبة: ”لقد الله خلق الإنسان عى صورته، ولكن الإنسان يرد له المثل-





أى يخلق إله على صورته “ وهذا ما جعل الفيلسوف يوستينوس الشهيد يمدح هذا النوع من الإلحاد (رفض الصور المشوهة عن الله) قائلاً: “... اننا ملحدون بتلك الآلهة المزعومة، ولكننا نؤمن بالإله الحقيقي”

- فالإيمان المسيحي هو مبادرة الهية وليس محاولة إنسانية

الإيمان هو إعلان صادر من الله، فالله هو الذى يسعى، هو الذى يبحث، هو الذى يريد، هو الذى يبادر، هو الذى يبدأ. إذن الإيمان هو مبادرة إلهية من الله، وليس محاولة إنسانية من الإنسان للوصول إليه، الله هو الذى تنازل ليعلم عن نفسه، وهكذا نستطيع أن نفهم الوحي الإلهي، فالوحي هو حركة تنازل وإعلان إلهي من الله للإنسان، سواء بإعلان أو رؤيا أو حلم أو من خلال نبي، وأخيراً من خلال شخص الابن الكلمة، لكي يُعرفه بذاته وطبيعته وشخصه.

لذلك لا تتطرق مسيرتنا في البحث عن الله من عقل الإنسان، أوقدرته البشرية، أو تاريخه الإنساني، أو فلسفته الإنسانية، ولكن مما يقوله الله عن نفسه، من إعلانه عن نفسه، وهنا يجب أن نفرق بين أمرين، بين أن يكون الإيمان الصادر من الله بصيغة إنسانية وهذا أمر طبيعي لأنه للإنسان، وبين أن يأتي متأثراً بفلسفات وحضارات وأديان سابقة، فاللاهوت المسيحي لم يأت متأثراً بالحضارات الإنسانية، أو الظروف البيئية والاجتماعية، فلا هو نتاج الثقافات الإنسانية أو الظروف التاريخية أو الحاجات الإنسانية، ولذلك فالصورة المقدمة عن الله تأتي نقية وصحيحة وسلمية وكاملة. فاللاهوت المسيحي يقدم لنا من هو الله، يقدم لنا الصورة الصحيحة والحقيقية عن الله، لأنه يقدم لنا



إعلان الله عن نفسه، صورة نقية سليمة، بدون تشوهات، أو إختلاط، أو إمتزاج، (برغبات، أو حاجات، أو أهواء بشرية)، أو تأثر (بثقافات إنسانية، أو خبرات بشرية، حضارات تاريخية، ديانات سابقة). ٥٣

وهنا نود أن نشير الى ما يدعيه غير الفاهمين من وجود تشابه بين عقيدة الثالوث، وبعض العقائد عند بعض الديانات والثقافات المختلفة، وأن المسيحية أستوحت هذه العقيدة من هذه الديانات أو تأثرت بها، وهذا أبعد ما يكون عن الصواب، ولكن المشكلة أن من يدرس الأديان البشرية، ديانات مصر، وبابل، واليونان، والهند يسترعي انتباهه وجود ما يُشبه الثالوث فى هذه الأديان.

ففى مصر وجد ثالوث إيزيس، وأوزوريس، وحورس ..

وفى بابل وُجد ثالوث براهما، وفشنو، وسيفا ..

وفى اليونان علم أفلاطون الذي عاش ٤٠٠ سنة قبل الميلاد، بوجود ثالوث افترض فيه وجود العقل السامي على العالم، والعقل المتحرك الذي أخرج إلى الوجود التصور الإلهي، والروح العظيم الذي يحيي العالم ويحركه، وهو بحسب تعليمه جزء أزلي من الله متحد بالمادة.

ويحاول الذين يحاربون عقيدة الثالوث أن يسندوا محاربتهم بالإدعاء أنه فى كل مكان من العالم القديم كانت عبادة الآلهة الوثنية متجمعة فى فرق مكونة من ثلاث، ويقولون إن ذلك كان سائداً فى مصر واليونان قبل وبعد مجيء الرب يسوع المسيح إلى الأرض.

٥٣- القس ابراهيم عازر، مدخل الى الإيمان المسيحي، ص ٩، ص ١٠





بل ويزعم البعض أن هذا المعتقد الوثني بدأ يجتاح المسيحية ويقولون إن المسيحية لم تدمر الوثنية بل في الحقيقة تبنتها وتبنت تعاليمها، ويتشدد البعض بالقول إن تعليم الثالوث هو تعليم فاسد استعير من العبادات الوثنية القديمة وأدخل للإيمان المسيحي وأن أصل الثالوث هو وثني تماماً، بل ويسخر البعض بالقول: هل الثالوث هو من الأسرار الإلهية أم من الخرافات الوثنية؟

أ- وهنا يخطر في ذهننا سؤال: من أين جاء البشر بعقيدتهم عن الثالوث؟

وجوابنا:

ربما يكون وجود الثالوث في الديانات القديمة يؤكد أن له أصل توارثته الأجيال قبل أن تتدهور إلى عبادة الأوثان، يؤكد أن الإنسان عرف وحدانية الله الجامعة منذ وجوده، ثم بتدهوره وأبتعاده عن الله الحي الحقيقي الذي أعلن ذاته لآدم، ابتدع لنفسه ثالوثاً ليس هو المعلن في كلمة الله، فلقد أعلن الله عن وحدانيته الجامعة لآدم وتوارثت الأجيال هذا الإعلان ولكن نتيجة الخطية والشر والشيطان الذي كان يعمل بقوة شوه هذا الإعلان وخلطه بالوثنية فابتدع البشر ثالوثاً وثنيا لا يمت بصلة للثالوث المسيحي ولكنه دليل على وجود هذه العقيدة في ضمير البشرية.

لذلك جاء الله وبدأ من جديد مع البشرية فأنزل الشريعة في العهد القديم معلناً وحدانيته حتى لا يحدث خلط بين العقيدة الصحيحة



وما كانوا يعيشون فيه، ثم بدأ يعلن عن وحدانيته الجامعة لأقانيمه في مواقف وآيات عديدة سبق ذكرها متدرجاً في الإعلان، حتى جاء العهد الجديد وأصبحت الأذهان مهيبئة ومستعدة فأعلن وحدانيته الجامعة بصورة واضحة في شخص الرب يسوع، ورد البشرية إلى الإعلان الصحيح الذي شوهته الخطية

وعن هذا يقول بولس الرسول :-

«لأنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعَلَّنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فَجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةَ اللَّهِ ظَاهِرَةً فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مِنْذَ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرٍ لَأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كِإِلَهِ، بَلْ حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَيْبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءٌ صَارُوا جُهَلَاءً، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطِّيُورِ، وَالذُّوَابِ، وَالزَّحَافَاتِ» (روا: ١: ٨١-٣٢)

من هذه الآيات نرى أن الناس منذ خلق آدم عرفوا الله في وحدانيته الجامعة في تالوته العظيم، ولكنهم في ظلام قلوبهم الغبية، أبدلوا الله الجامع في وحدانيته، بتالوث من ابتداع عقولهم المظلمة، وهكذا حلَّ الاعتقاد الزائف الرذيل مكان الجوهر الأزلي الأصيل، ولكن عاد الله يعلن ذاته للبشر، أعلن وحدانيته في تالوته العظيم في تعبيرات صريحة في كتاب العهد الجديد.



ب- شتان الفرق بين المفهوم المسيحي الصحيح والمفهوم الوثني المزيف الحقيقة أن من يعقد مقارنة دقيقة بين التالوث المسيحي وجميع التثليثات الوثنية القديمة يخرج بنتيجة واحدة فقط وهي أن هذا التشابه تشابه ظاهري فقط وليس شبيهاً حقيقياً على الإطلاق. ودعونا نأخذ فكرة عن التالوث الهندي والبابلي والمصري باعتبار أنهم أشهر أنواع التثليث التي ظهرت قبل المسيحية، لنرى ما هي أوجه الشبه أو الاختلاف بينها وبين التالوث في العقيدة المسيحية.

التالوث الهندي

في الهند مثلاً ظهرت إحدى الديانات والتي نادى بثلاثة آلهة هم: براهما هو الخالق أصل كل شيء، شنوا هو الحافظ لكل شيء، شيوا هو المخرب.

وهؤلاء الثلاثة يمثلون التطورات المتلاحقة في الكون من ناحية الوجود والإستمرار والفناء، فبراهما إله له جوهر إلهي بسيط غير شاعر بنفسه خال من الصفات، فقد كان الهنود يؤمنون بآلهة كثيرة وصل عددها إلى حوالي ٣٣ إلهاً لكنهم رفعوا براهما وشنوا وشيوا فوقهم بحجة أن هؤلاء الثلاثة يمثلون الخلق والحفظ والتدمير، لكن لم يخطر ببال الهنود قط أن يجعلوا هؤلاء الثلاثة واحداً، بل على العكس تماماً كانوا يؤمنون أن كلا من هؤلاء الثلاثة منفصل عن الآخر ومختلف عنه كل الاختلاف بل أنهم يعملون ضد بعضهم، غير أنه بالإضافة لما سبق فإن كل واحد من هذه الآلهة الثلاثة له أسرار كثيرة وحوادث غرامية مخجلة وكل منهم يطلب نوعاً خاصاً من العبادة فمنهم من



يطلب عبادة مصحوبة بفرح وسرور وابتهاج، ومنهم من يتطلب عبادة مصحوبة برعب وخوف وإذلال.

الثالوث المصري

كذلك المصريون القدماء آمنوا بثالوث شهير وهو إيزيس وأوزوريس وحورس ثلاثة آلهة ويطلق عليه ثالوث طيبة المصري. وكان الشعب المصري القديم يؤمن بهذا الثالوث أيام مصر الفرعونية وذلك قبل ظهور المسيحية، ولعلنا نلاحظ أن تسمية الآب والابن والروح القدس ليس لها أساس في عقائد قدماء المصريين، كما أن كلمة أقنوم والتي هي من صميم التعليم المسيحي ليس لها أثر في التاريخ المصري، بل إن الإيمان بالثالوث المصري كان ينص على الانفصال الكامل بين الآلهة الثلاثة ولا يغيب علينا هنا أيضاً وجود عنصر نسائي في هذا الثالوث.

الثالوث البابلي

وهي بابل وجدّ ثالوث مكون من عشتاروث، وسن، وشماس، وكان هذا في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، وهذا الثالوث كان يتكون من أب «أم وابن، وهذا الأخير أصبح زوجاً للأم في الوقت نفسه، وهنا أيضاً نرى أن كل إله في هذا الثالوث منفصل تماماً عن الآخر ومختلف عنه كل الاختلاف،

ولذلك فلا يقبل أو يعقل أن تكون عقيدة الثالوث المسيحية مقتبسة أو مشابهة لعقائد التثليث عند الوثنيين، بل إن الثالوث المسيحي المقدس يختلف تماماً عن كل ما سبق عرضه.





لكن ما هو الفرق؟

إن الفرق واضح وكبير بين تالوث المسيحية والتثليث في الأديان الأخرى، فالهنود لم يقولوا إن الثلاثة (براهما وشنوا وشيوا) هم واحد، بل هم يؤمنون أنهم ثلاثة منفصلون متعاقبون يعملون ضد بعضهم البعض، لا توجد بينهم وحدة أو كما نسميها نحن وحدة الجوهر.

كما أن الفرق بين التالوث المسيحي والتثليث المصري كبير وواضح ففي التالوث المصري توجد زوجة للإله في حين لا توجد في التالوث المسيحي، في التالوث المصري يوجد تعاقب زمني إيزيس وأوزوريس تزوجا وأنجبا حورس أي أنه لم يكن معهما من البداية بل جاء تاليا لهما، كما أن في التالوث المصري زواجا أو عملية تزواج بعكس التالوث المسيحي الذي لم يحدث فيه أي شيء من هذا القبيل.

ونستطيع أن نوضح الفرق بين التالوث المسيحي والتثليث الوثني في النقاط التالية :-

+ في التثليث الوثني الثلاثة آله غير متساويين لكن في التالوث المسيحي الأقانيم داخل الله الواحد متساوية في كل شيء، فهي متساوية في الصفات، الأب يساوي الابن ويساوي الروح القدس.

+ يوجد تناسل في التثليث الوثني لكن لا يوجد تناسل في التالوث المسيحي، فأوزوريس تزوج إيزيس وأنجبا حوريس نتيجة لعملية تزواج بينما الله في المسيحية روح « الله روح....» (يوه: ٤٢)

+ يوجد اختلاف في الزمن بين آلهة الوثن، فمثلاً في التثليث الوثني المصري أوزوريس موجوداً وحده فترة من الزمن وكانت إيزيس



وحدها لفترة من الزمن قبل زواجهما و حورس كان أقل عمراً منهما لكونه نتاج زواجهما. أما في الثالوث المسيحي فلا يوجد فارق زمني بين الأقانيم الثلاثة لأن الله موجود منذ الأزل قائم وكائن بذاته وبكلمته (الله الابن) وبروحه (الله الروح القدس)

+ في التثليث الوثني توجد امرأة، «ايزيس» في التثليث المصري و«سن» في الثالوث البابلي، أما في الثالوث المسيحي فلا توجد امرأة ولا تزواج، فالبنوة في المسيحية ليست جسدية وليست بنوة تناسلية نتيجة علاقة بين رجل وامرأة وإنما هي بنوة مختلفة تماماً، هي بنوة حقيقية ذاتية عقلية روحانية لا علاقة لها مطلقاً بالجسد أو بالتناسل، فالتوالد يقتضي التتابع الزمني وهذا لا شك يتنافى مع أزلية الله.

وهنا لا بد أن نوضح أن صلة المسيح «الإبن» بالله «الآب» ليست صلة توالدية تناسلية جسدية ولكنها علاقة روحية تقوم على وحدة الطبيعة بين الآب والابن، وإن استخدام الكتاب المقدس لكلمتي الآب والابن ما هي إلا لشرح لنا بصورة مبسطة يستطيع عقلنا البشري أن يدرك بها العلاقة بين الله الآب وبين كلمته الأزلية، فهي ليست علاقة تزواج وتناسل وتكاثر كما يظن البعض، فالبنوة بمعناها الحقيقي في الكتاب المقدس تشير بوضوح أن الآب والابن متلازمان أزليان ومتحدان معاً بالروح القدس، فليس هناك علاقة توالدية جسدية أو محدودية في الزمن.

+ في التثليث الوثني الهندي الثلاثة يعملون الواحد ضد الآخر، لكن في المسيحية الثالوث الواحد يعمل معاً، فالأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر لهم علم واحد ومشية واحدة وقوة واحدة فليس في





اللاهوت ثلاثة عقول أو ثلاث مشيئات أو ثلاثة مصادر للقوة، فلقد قال السيد المسيح: «لأنَّ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ (الآب) فهذا يَعْمَلُهُ الابنُ كذلك» (يوه: ٩١)

لقد شهد الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد في كتابه عن الله (ص ٩٤١، ٥١٠) بقوله:

«إن فكرة الله في المسيحية لا تشبهها فكرة أخرى في ديانات ذلك العصر الكتابية أو غير الكتابية ويستكمل قائلاً فليس لها شبيه في العبادات الوثنية بأسرها، فالإيمان بالله على تلك الصفة التي تنفرد بها المسيحية إنما هو فتح جديد لرسالة السيد المسيح، لم يسبقه إليها في اجتماع مقوماتها رسول من الكتابيين ولا غير الكتابيين، وهي لم تكن أجزاء مقتبسة من هنا أو من هناك بل كانت كلاماً متجانساً من وحي واحد وطبيعة واحدة!»

ونستطيع أن نقول في ختام هذا الأمر أن ما قالته الديانات والعبادات الوثنية السابقة للمسيحية عن التثليث لها محاولات فكرية أولية ومبدئية تشير إلى الحق الكامل عن الله، ولعلنا نلاحظ أن اعتقاد الديانات الوثنية بثلاثة آلهة راجع إلى أنهم كانوا يعتقدون كما يعتقد غيرهم من الناس أن العدد ثلاثة هو أول عدد كامل، لكن كل القرائن السابقة تدل على أن عقيدة الثالوث المسيحي لم تقتبس شيئاً إطلاقاً من العقائد الوثنية، بل لأبد أن نفهم أن المسيحية ليست مجرد ديانة عادية كباقي الأديان، لكنها إعلان إلهي مقدم للبشر جميعاً من خلال الوحي المقدس الذي اكتمل في شخص الرب يسوع.^{٥٤}

٥٤- عوض سمان. الله ذاته ونوع وحدانيته. ص ٨٣ : ص ٨٩



٢- صياغة الإيمان

اتفق العالم المسيحي شرقاً وغرباً على هذه الصيغة الثالوثية (جوهر واحد وثلاثة أقانيم) والتي تعبر عن ايمان الكنيسة مع ملاحظة الآتى:

أ- لم يعلن الرب يسوع أية صيغة لاهوتية (قانونية) ثالوثية ولكنه أعلن عن الوهية الآب والابن والروح القدس فى وضوح وصراحة خلال اعمالهم لاجل خلاصنا، غير انه قبل صعوده أمر تلاميذه أن يعمدوا بأسم الآب والأبن والروح القدس ، واعطاهم صيغة العماد ببساطة ودون ذكر لتعبير « أقانيم» ، لإن غايته كانت تكمن فى أن يهب المؤمنين نعمة الأقانيم بالمعمودية، وقد قبل الموعوظين أبوة الله (الآب)، والعضوية فى جسد المسيح (الأبن) وسكنى الروح القدس فى انسانهم الداخلى (الروح القدس).

ولذلك فمن اهم العبارات أيضا الخاصة بعقيدة الثالوث فى العصر الرسولي هى التى للقديس بولس «نَعْمَةٌ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (٢كو ١٣ : ٤١)، وهنا يشهد القديس بولس للثالوث القدوس لكى يعلن عن النعمة الإلهية والمحبة والشركة، فيتقبل المؤمنون الله ليس فقط كما «هو» بل كما «يعمل» بين مؤمنيه ليصيروا شركاء الطبيعة الالهية»٢بط ١ : ٣».

واضح أن غاية نظام الكنيسة الأساسي فى العصر الرسولي هو الشهادة خلال عبادتها أن الله أرسل كلمته يسوع المسيا، لقد مات





وقام من الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيعود فى المجد لنقوم معه ونتمتع بحضرة أبيه. ولقد أرسل أيضاً روحه القدس فى كنيسته ليُعد ملكوته السماوي، ويهيئها للعرس الأبدى. بمعنى آخر إيمان الكنيسة الرسولية إيمان ثالوثي صرف، له أثر على كراتنها وعبادتها وسلوكها، لكنه لم يعلن فى صيغة لاهوتية بالمفهوم الحديث..

ب- الكنيسة كانت مشغولة منذ البداية بان يحيا المؤمن هذا الإيمان أكثر من انشغالها بصياغته . الإيمان المسيحي هو حياة يمارسها المؤمن خلال اتحاده مع الله فى المسيح بالروح القدس، هذه الحياة لا يحدها قانون ولا تسجلها لغة بشرية، ولكن هذا لم يمنع من وجود صيغ وتعبيرات ليتورجية فى العبادة تعبر عن إيمان الكنيسة، ونذكر على سبيل المثل لا الحصر تسبحة باكر التى وجدت فى المخطوطة الاسكندرانية للكتاب المقدس التى تنص على «المجد لله فى الأعالي الله الآب ضابط الكل، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ، والروح القدس الرب الإله»

ونجد أيضاً هذا الإيمان مُعبراً عنه فى سر المعمودية، كصيغة خاصة بالمعمودية ، يعترف بها طالب العماد معلناً قبوله الحق ودخوله « الحياة الجديدة فى المسيح يسوع» ، وكان يُسمى «قانون الإيمان الأرثوذكسي»، فقد كان لزاماً على طالب العماد أن يُعلن وبكل وضوح عن ايمانه بالله الواحد وفى نفس الوقت يعترف بالوهية الآب والإبن والروح القدس.



ج- هذا الإيمان الكتابي والمعاش والمستقر في وجدان الكنيسة في ليتورجياتها وتسايجها وعبادتها، أخذ طريقة لصياغة قانونية بسبب البدع والهرطقات التي أرادت أن تشوه الإيمان وتحرفه، مما دعت الحاجة الى أن تكون هناك صيغ ثابتة ومحددة تعبر عن هذا الإيمان كقانون يُعلن إيمان الكنيسة .

يقول القديس هيلاري

«إنَّ شرَّ الهرطقة والمُجدِّفين يُرغمنا على القيام بأمرٍ محرّمة: أنَّ نسلِّقَ القمم المحظور تسلقها، وأنَّ نتكلّم في موضع لا يُنطق بها، وأنَّ نقدّم تفاسير ممنوعة، كان علينا أن نكتفي بأنَّ نتّمم بالإيمان وحده ما أمرنا به، أعنى أن نسجد للآب وأن نكرّم الابن معه وأن نمثّل من الروح القدس، ولكننا مُرغمون على أن نطبّق كلمتنا المتواضعة على الأسرار الأبعد من الوصف، إنَّ خطيئة الآخرين تقودنا إلى خطيئة أعظم: التعبير عن الأسرار التي كان يجب أن نحويها في ديانة قلوبنا بقصور اللغة البشرية»^{٥٥}.

د- التعليم الخاص بالثالوث تعليم كتابي بحت، فالمصطلحات مأخوذة من نصوص الكتاب ومضمونه

يرى الأستاذ نيكوس نيسيوليس، أن التعليم الخاص بالثالوث القدوس تعليم كتابي بحت ، وليس كما يظن البعض مزيج من الفلسفة اليونانية القديمة والإيمان المسيحي ، إذ يقول

٥٥- القمص تادرس يعقوب ملطي ، الدليل المبسط الى علم الآباء ، الكتاب الثاني : بدء القوانين الكنسية

والشكل الليتورجي ، ص ١٦ ، ١٧





«يمكننا بسهولة تفنيد هذا النقد، لأن هذا المزج لم يحدث إطلاقاً في المسيحية الأولى أنه كان للفلسفة اليونانية ولللاهوت المسيحي كيانان عظيمان ، لكل منهما أصالته الخاصة به، واستقلالية هويته التامة ومجالات الفكر وطرق التفكير، بحيث لا يمكن المزج بينهما لخلق نظام جديد شبه لاهوتي أو شبه فلسفي».

على وجه الخصوص في اللاهوت الثالوثي الذي صيغ في القرنين الرابع والخامس لتفسير الإيمان المسيحي في مواجهة الهرطقات الخاصة بشخص المسيح والخاصة بالروح القدس، يمكن للإنسان بسهولة أن يبرهن على أن الإيمان الثالوثي هو التعليم الفريد والوحيد للإيمان بالله في تاريخ الفكر الديني في العالم الذي يطابق الإعلان الكتابي الواحد والفريد بكل أمانة .

كل المصطلحات المستخدمة في اللاهوت المسيحي المبكر لتوضيح الله كثالوث هي مصطلحات كتابية. الجوهر (اوسيا ousia)، والطبيعة (فيزيس physis)، شخص (برسوبون prosopon)، اقنوم (هيپوستاسيس hypostasis)، مقتسبة من الكتاب المقدس. فكمثال قيل عن المسيح «الذي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسَمُ جَوْهَرِهِ hypostasis» (عب ١ : ٣)، حتى أكثر الإلفاظ أثارة للجدل حول شخص السيد المسيح «هوموسيون»، تعبر عن إشارة صريحة ومباشرة عن العلاقة الكيانية بين الآب والإبن، بكون الأبْن من جوهر الآب وله نفس الطبيعة، وهذا ما نجده في كل أسفار الكتاب المقدس.^{٥٦}

٥٦- القمص تادرس يعقوب ملطي ، الله ، كنيسة مارجرس أسبورتج الاسكندرية ، ص ٢٨





سادساً: الثالوث إعلان كتابي مرحلي





إن وحي الثالوث الأقدس قد أتى إلينا عبر تاريخ الخلاص الذي بلغ كماله في شخص يسوع المسيح، ففريدة الثالوث ليست حصيلة تفكير بشري نظري عن الله، ولا نتيجة تطور ديني بدأ مع ديانات الشرق القديم، بل هي تعبير لاهوتي لسر الله الذي ظهر لنا ظهوراً خلاصياً في شخص يسوع المسيح، فالمسيح قد أتى إلينا باسم الله حاملاً إلينا خلاصه، ومن بعد قيامته أرسل إلينا روح الله، هكذا أوحى لنا الله بذاته (أباً) يرسل إلى العالم ابنه المخلص وروحه القدس.

لذلك لا نجد في العهد القديم وحي الثالوث بشكل كامل، وذلك لسبب بسيط وهو أن ابن الله الأبنوم الثاني من الثالوث الأقدس تجسد في العهد الجديد، وكذلك الروح القدس حل على الكنيسة بعد قيامة الرب يسوع.

بالإضافة إلى أن الله في سامي حكمته تدرج في إعلانه عن الثالوث بصورة مرحلية أو تدريجية، بسبب أن الشعب الإسرائيلي عاش أربعمئة سنة في أرض مصر، وكانت مصر وقتئذ مسرحاً لعبادة الأصنام، كثرت تماثيلها وتعددت آلهتها، فلو أن الله جلَّ اسمه أعلن للإسرائيليين الخارجين من مصر عن الثالوث بكلمات صريحة لغلبت الأفكار والعقائد المصرية على تفكيرهم وشوهت الإعلانات الإلهية، لهذا اقتضت حكمة الله أن يتدرج في إعلانه عن وحدانيته في ثالوته العظيم بقدر ما رأي في حكمته وعلمه من استعداد البشر لتقبل إعلانه الكامل عن شخصه.



لذلك تم هذا الإعلان على مرحلتين:

المرحلة الأولى:

هي مرحلة العهد القديم وفي هذه المرحلة أعلن الله عن «وحدانيته» مع إشارات إلى حقيقة الثالوث، فالعقلية لم تكن ممسوحة بروح الله ولم تكن تحتمل سوى قدر ضئيل جداً عن طبيعة الله فأعطى الله للبشرية أول درس

١- الدرس الأول (المرحلة الأولى) الوحدانية

﴿إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ﴾ (تث ٦: ٤)

﴿وَصَلَّى حَزَقِيَّا أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، الْجَائِسُ فَوْقَ الْكُرُوبِيمِ، أَنْتَ هُوَ الْإِلَهُ وَحَدِّكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الْأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ.»﴾ (٢مل ١٩: ٥١)

﴿وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا، خَلَصْنَا مِنْ يَدِهِ، فَتَعَلَّمَ مَمَالِكِ الْأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ وَحَدِّكَ﴾ (٢مل ١٩: ٩١)

﴿هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرِي﴾ (إش ٤٤: ٦)

﴿أُذْكُرُوا الْأَوَّلِيَّاتِ مِنْذُ الْقَدِيمِ، لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الْإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي.»﴾ (إش ٦٤: ٩) ٢- ولكن كانت هناك إشارات واضحة لسر للثالوث:

فبرغم أن الله لم يعلن الثالوث بصورة مباشرة وكاملة، ولكن كانت هناك إشارات واضحة





أ- آيات تشير إلى الآب والابن والروح القدس معاً:

✠ «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأَبْشُرَ الْمَسَاكِينِ، أَرْسَلَنِي لِأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ،» (اش ١٦: ١).

✠ «كُرْسِيُّكَ يَا اللَّهُ إِلَى ذَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبٌ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الْإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهَكَ بِدُهْنِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُقَاقِثِكَ» (مز ٥٤: ٦، ٧ - عب ١: ٨، ٩)

✠ «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا» (مز ٣٣: ٦)

ب- آيات تشير إلى الآب والابن:

«مَنْ صَعَدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حَفْنَتَيْهِ؟ مَنْ صَرَّ الْمِيَاهِ فِي ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الْأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَهُ؟» (أم ١٣: ٤)

«قَامَ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَتَأَمَّرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ،» أما أنا فقد مسحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي» (مز ٢: ٢، ٦)

«إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.»» (مز ٢: ٧)

«لَأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتْفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ» (اش ٩: ٦)





تشير هذه الآيات إلى الآب والابن المولود منه قبل كل الدهور، فيسأل عن اسميهما «ما اسمه؟ وما اسمُ ابنه إن عَرَفْتَهُ؟» ولكنه يعود يعطينا علامات لا تخطئ عن الأبن كالصعود إلى السموات والنزول، والإجابة: وكما نعلم من العهد الجديد لم يصعد أحد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء (يو: ٣: ٣١) أي الابن الذي تمجّد بصعوده إلى السموات، واشترك مع الآب والروح في الخلق (يو: ١: ١-٢، ٢كو: ١١-١٢: ٦١-٧١).

❖ ثم يتحدث عن ولادة الابن الثانية في الزمن بالجسد ومسحته وملكوته، لكنه لا يهمل الإشارة إلى ولادته من الآب والتي تفوق الزمن، هذه الحقيقة يؤكدُها اشعيا النبي في نبؤته عن الابن المتجسد، إذ يسميه «إلهاً قديراً أباً أبدياً» ولا يمكن لمن هو إله قدير وأبدي إلا أن تكون ولادته أزلية وأبدية.

ج- آيات تشير إلى الآب والروح القدس

❖ «رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَيَّ لِسَانِي» (٢صم ٣٢: ٢)

❖ «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جَذَعِ يَسَى، وَيَنْبِتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ، وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ» (إش ١١: ١، ٢).

❖ «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعَدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ...» (مز ٩٣: ٧-٨).





❖ «تُرْسَلُ رُوحَكَ فَتُخَلِّقُ، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الْأَرْضِ» (مز ٤٠١: ٥٣)

من بين آيات كثيرة، قدمنا هذه كنماذج عن أقنوم الروح القدس (روح الله أو روح الرب أو روحه القدوس...) هذه التعبيرات بالذات تظهر الاتحاد الكياني بين الله وروحه لأنه كما يقول القديس بولس الرسول «الرُّوحُ يَفْضَحُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقِ اللَّهِ. لِأَنَّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الْإِنْسَانِ إِلَّا رُوحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هَكَذَا أَيْضًا أُمُورَ اللَّهِ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلَّا رُوحُ اللَّهِ» (١كو١: ٩-١١).

د- تكلم الله بصيغة الجمع:

❖ «وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشِبْهِنَا» (تك ١: ٦٢).

❖ «هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تك ٣: ٢٢).

❖ «وَقَالَ الرَّبُّ: هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّغْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ.....»

(تك ١١: ٦-٧)

❖ «ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلًا: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنَّا مِنْ أَجْلِنَا؟»

(أش ٦: ٨)

في هذه الآيات الأربع ظاهرة غريبة إذ يقدم الرب الإله متحدثاً بصيغة المفرد «وقال الله» ومع ذلك يستعمل في حديثه صيغة الجمع.

يرى بعض اليهود بأن الله يتكلم هنا مع الملائكة لكن هذا الرأي لا يثبت أمام النقد الصحيح، لأن الملائكة لا يمكن أن يوضعوا في مستوى واحد مع الله، فمثلاً في الآية الأولى يصبح الملائكة شركاء لله ليس فقط



فى الصورة والشبه بل وفى المشيئة والخلق، وهذا ما يجعلهم متمتعين بالصفات الإلهية وبالتالي بالجواهر الإلهي ذاته مما يتناقض جذرياً مع الإعلان الإلهي (أنظر عب ١: ٥-٤١)

كذلك لا تثبت الفكرة القائلة بأن الله يتكلم فى هذه الآيات بصيغة جمع التعظيم، لأن هذه الصيغة، بشهادة كتب العهد القديم، لم تكن معروفة عند الأقدمين. فلا الله استعملها عند مخاطبته للبشر (أنظر مثلاً تك ٥١: ١-٨١، خر ٣: ٤-١٢، أرا ١: ٤-٩١)، ولا الملوك والعظماء (أنظر مثلاً تك ١٤: ٩٣-١٤، دا ١: ٥-١٠)، والحقيقة إننا إذا تأملنا فى هذه الآيات الأربع نجد القاسم المشترك بينها هو مشورة بين عدة (أقانيم)، قبل الإقدام على عمل ما وهذه الأقانيم قائمة فى الله ذاته لأن أفعال الله توضع فى صيغة المفرد مما دل على وحدة جوهر الله رغم تعدد أقانيمه.

المرحلة الثانية (الدرس الثاني)

الثالوث:

فى هذه المرحلة، مرحلة العهد الجديد جاء السيد المسيح (الله الظاهر فى الجسد) وأعلن لنا عن وحدانية الله الجامعة وأنه هو الله الواحد المثلث الأقانيم (الآب والإبن والروح القدس) وهنا اكتمل الإعلان عن طبيعة الله المثلث الأقانيم الآب والإبن والروح القدس، وعن علاقة الآب بالإبن وعن الوحدانية القائمة بين الآب والإبن والروح القدس وقد ظهر هذا الإعلان واضحاً وكان هذا هو درس الثالوث.





أ- إعلانات واضحة عن الأقانيم الثلاثة في الجوهر الواحد
 ❖ في بشارة الملاك للعدراء مريم بميلاد يسوع قال الملاك: «الرُّوحُ
 الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَحُلُّكَ، فَلذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُوسُ
 الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ» (لوا: ٥٣)

❖ في عماد السيد المسيح له المجد في نهر الأردن يذكر متي البشير
 في إنجيله «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعَدَ لِلوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ
 قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَأَتَيَا عَلَيْهِ،
 ٧١ وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ
 سُرَرْتُ» (مت ٣: ٦١، ٧١)

❖ في حديث السيد المسيح له المجد لتلاميذه عن الروح القدس قال
 لهم «وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ،
 الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَتِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي» (يو ١٥: ٢٦)

❖ (يو ٤: ٣٢)، (غلا ٤: ٦)، (يو ٥: ٧)، (مت ١٢: ٩١)، (مت ٢١: ٨١)

ب- إعلانات عن الوهية الأقانيم الثلاثة:

ولكن في العهد الجديد كان الإعلان ليس مجرد إشارات ولكن كان
 هناك إعلان عن الأقانيم، وعن الوجدانية في الجوهر والتمايز في
 الأقانيم، وإعلان عن الوهية كل أقنوم من الأقانيم، وإعلان عن
 علاقات الأقانيم ووحدها.



❖ أقنوم الأب:

نكتفي هنا بإيراد آيتين صغيرتين تلخصان أبوة الأب للابن (بنوة بالطبيعة)، كذلك أبوته للمؤمنين ولجميع البشر (بنوة بالتبني)
«مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ...». (أف: ١: ٣).

«اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَالْهَيِ
وَالْهَيْكُمْ» (يو: ٠٢: ٧١)

❖ أقنوم الابن:

إله حقيقي

«وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ
الْأَبَدِيَّةُ» (ايوه: ٠٢)

هو الله نفسه

«فِي الْبَدَءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ»
(يو: ١)

«... لَتَرَعُوا كَنِيْسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أع: ٠٢: ٨٢)

«وَبِالْإِجْمَاعِ عَظِيمٍ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ...»
(تيمو: ٣: ١٦)

مساواة تامة مع الأب:

«لأنه لم ينقص السبب فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه، مُعَادِلًا
نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوه: ٥: ٨١)



«الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله»
(في ٢: ٦)

أقنوم الروح القدس:

تتوضح حقيقة شخصية الروح القدس الإلهية بشكل قاطع في العهد الجديد، فهو من جهة يحمل كل الصفات التي تميز الأقانيم ومن جهة أخرى يحمل كل الصفات والأعمال التي تميز الله.

صفات لا يمكن أن تطلق إلا على شخص - أقنوم:

✠ يعزّي، يعلم، يذكر

«وأما المعزّي، الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦)

✠ يرشد، يتكلم، يتنبأ

«وأما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية»
(يو ١٦: ٢١)

✠ يشهد

«ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب، روح الحق، الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي» (يو ١٥: ٢٦)

«غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلًا: إن وثقا وشدائد تنتظرنني» (أع ١٧: ٣٢).



«الرَّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لَأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ» (روا: ٦١)

✠ يقيم أساقفة

«احْتَرِزُوا إِذَا لَأَنْفُسَكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمْ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً...» (١٢: ٠٢٤)

صفات وأعمال إلهية تامة

✠ هو الله ذاته

«لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ» (أع: ٥: ٣، ٤)

✠ الولادة الروحية والخلق

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ» (يو: ٣: ٥)

«روح الله صنعني ونسمة القدير أحييتني» (أيوب ٣: ٥):

✠ المعرفة التامة

«أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء...» (يو: ١٦: ٤١)

«هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (١ كو: ١١: ٢)

✠ القدرة على كل شيء

«فإنه لو احد يعطى بالروح كلام حكمة والآخر كلام علم بحسب الروح الواحد... والآخر عمل قوات والآخر نبوة والآخر تمييز الأرواح والآخر



أنواع السنة ولآخر ترجمة السنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١ كو ٢: ٨-١١).

✠ السلطنة على الحياة والموت

«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ٤٤).

ج- وحدانية جوهر الأقانيم الثلاثة :

✠ وحدانية جوهر الإبن مع الآب :

إن بنية الإبن الطبيعية للآب ليست بمفهوم الكنيسة سوى وحدة الطبيعة الإلهية عند الآب والابن، «أنا والآب واحد» (يو ١: ٠٣)، «... الذي رأيته فقد رأى الآب...» (يو ٤: ٩)، هاتان الآيتان مع كثير غيرهما (راجع يو ٥: ٨١، ٨٢، ٠١، يو ٤: ٠١-١١، يو ٦: ٥١) ..

نطق بها يسوع لإثبات وحدانية جوهره مع الآب وهي ذات معنى حقيقي لا مجازي كما يدعي البعض، والدليل أنه حين قال العبارة الأولى لم ينكر عليهم هذا التفسير بل ثبته إذ قال: «إِنْ كُنْتُ نَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلَا تَوَدُّنَا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنَّ لَمْ تَوَدُّنَا بِي فَأَمِنُوا بِالْأَعْمَالِ، لَكِي تَعْرِفُوا وَتَوَدُّنَا أَنْ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ١٠: ٧٣، ٨٣).

إذن ما رأيناه أيضاً من تشديد على ألوهة الإبن في العهد الجديد لا يعني بالنتيجة سوى أن اللاهوت أو الجوهر ذاته الذي للآب هو للإبن، وهو ما يظهر كذلك من عبارات كتبها الرسل بمناسبة مختلفة عن الرب يسوع:



«فإنه فيه يحلُّ كلُّ ملءِ اللاهوتِ جسدياً» (كو٢: ٩)،
 «الذي، وهو بهاءُ مجده، ورسمُ جوهره...» (عب ١: ٣)،
 «الذي هو صورةُ الله غيرِ المنظور» (كو١: ٥١) (٢كو٤: ٤) (فى٢: ٦)...

✠ وحدانية جوهر الروح القدس مع الآب:

إن ما ينطبق على الابن في علاقته مع الآب ينطبق على الروح القدس في علاقته مع الآب ذاته، مع الفارق أن الابن يولد من الآب بينما الروح القدس ينبثق منه (يو٦: ٦٢)

هذا ما تثبته بصورة خاصة العبارة التالية للرسول بولس:

«لأنَّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الْإِنْسَانِ إِلَّا رُوحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟
 هكذا أيضاً أمورُ الله لا يعرفها أحدٌ إلا رُوحُ الله» (١كو٢: ١١)

والتي تشدد على أن الروح القدس وحده عنده معرفة كاملة عن الله بينما نجد في الأناجيل أنه «وليس أحدٌ يعرفُ مَنْ هو الابنُ إلا الآبُ، ولا مَنْ هو الآبُ إلا الابنُ» (مت ١١: ٧٢، لو ١٠: ٢٢، يو ١: ٨١)، إذا فالروح القدس كالابن مساوٍ للآب أو عنده الجوهر الإلهي الواحد، وخصوصاً أن كلمة «روح الله» نفسها تدل على أنه ليس من العدم بل هو من جوهر الله ومستقر فيه.

✠ وحدانية جوهر الأقانيم الثلاثة معاً:

نجد ذلك في إشارة الرسل إلى رؤيا إشعيا النبي التي تحدثنا عنها سابقاً.

إشعيا يسمي السيد الجالس على العرش رب الجنود (اش ٦: ٥)

بينما يوحنا الإنجيلي يعلن أن إشعيا قد رأى مجد الابن (يو ٢: ١٤)





أما بولس الرسول فيقول أن من كلّم إشعيا النبي كان الروح القدس (أع ٨٢: ٥٢)، هذا كله لا يمكن تفسيره إلا بأن من رآه إشعيا كان مجد الإله الواحد المثلث الأقانيم.

كما أن عبارة «فادهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٨٢: ٩١)، والتي أشرنا إليها سابقاً تبرز أيضاً حقيقة الجوهر الإلهي الواحد، لأن الرب يسوع عندما ذكر الأقانيم الثلاثة المتميزين فيما بينهم لم يقل عمدوهم بأسماء الآب والابن والروح القدس كثلاثة آلهة منفصلين بل استعمل تعبير باسم أي بقوة أو سلطان الله الوحيد الثلاثي الأقانيم الذي عنده الطبيعة الإلهية الواحدة.

✠ وحدانية قوى وأعمال الأقانيم الثلاثة :

إن ما يؤكد كذلك وحدانية جوهر الأقانيم الثلاثة، هو الإعلان الإلهي لوحدة قوى (مواهب) وأعمال هذا الجوهر الواحد وهو ما يلخصه بولس الرسول بقوله: «فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد. وأنواع خدم موجودة، ولكن الرب واحد. وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد، الذي يعمل الكل في الكل» (١كو ١٢: ٤-٦).^{٥٧}

٥٧- عوض سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٧٤ : ص ٨٠



المراجع

١. الكتاب المقدس بعهديه
٢. منطق الثالوث - الأب هنرى بولاد اليسوعى - دار المشرق بيروت
٣. سر الثالوث - الاب فاضل سيداروس اليسوعى - دار المشرق بيروت
٤. الطريق الارثوذكسى - للأسقف كاليستوس وير - ترجمة د نصحي عبد الشهيد
٥. علم اللاهوت العقيدى - المجلد الثاني - د موريس تاوضروس
٦. الرؤية الأرثوذكسية لله والإنسان - المطران جورج خضر
٧. من هو الله عند آباء الكنيسة الأوائل - بقلم بسام اشجمين
٨. الثالوث والقيامة - نيافة الأنبا موسى - أسقف الشباب
٩. السبل إلى الله - كوستى بندلى
١٠. بين وحى الله وايمان الإنسان ج٢- الأب فاضل سيداروس اليسوعى
١١. الآباء والكتاب المقدس د جوزيف موريس فلتس
١٢. الإيمان والثالوث - توماس ف. تورانس - ترجمة د عماد موريس اسكندر، د جوزيف موريس فلتس
١٣. التثليث - سلسلة ايمان كنيستنا - خادم بكنيسة القديس مارمرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء - اسكندرية





١٤. مدخل إلى العقيدة الرثوذكسية - كوستى بندلى
١٥. الله - القمص تادرس يعقوب ملطى
١٦. مائة سؤال وجواب فى العقيدة الارثوذكسية - مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري - اعداد د سامح حلمى
١٧. الثالوث - المتنيح نيافة الانبا بيمن أسقف ملوى - شريط كاسيت
١٨. حوار حول الثالوث - القديس كيرلس الكبير - ترجمة ومراجعة المركز الارثوذكسى لدراسات الآباء
١٩. شمس البر - المتنيح القس منسى يوحنا - مكتبة المحبة بالقاهرة
٢٠. شرح الإيمان الارثوذكسى - الجزء الأول للقديس امبروسىوس أسقف ميلان - ترجمة د نصحى عبد الشهيد
٢١. علم اللاهوت النظامى - تأليف القس جيمس انس - مراجعة وتنقيح القس منيس عبد النور
٢٢. سر التثليث - المتنيح الانبا اغريغوريس أسقف البحث العلمى
٢٣. الله ذاته ونوع وحدانيته - عوض سمعان
٢٤. الكرازة الرسولية - للقديس ايريناؤس - الترجمة والمقدمة والتعليقات والفهارس د. نصحى عبد الشهيد، د. جورج عوض إبراهيم - مركز دراسات الآباء
٢٥. الثالوث وفاعليته فى حياتنا - د موريس تاوضروس - محاضرات بالمركز الارثوذكسى لدراسات الآباء



٢٦. الإيمان بأبن الله - د نصحي عبد الشهيد - المركز الأرثوذكسي
لدراسات الآباء

٢٧. علم اللاهوت - المجلد الاول - ابونا ميخائيل مينا الله

٢٨. في المسيحية - عوض سمعان

٢٩. النعمة عند القديس أثناسيوس الرسولي - د. وهيب قزمان





هذا الكتاب الذي أعده القس إبراهيم القمص عازر , من أجمل ما
كُتِبَ عن التَّالوثِ فهماً وشرحاً ونفعاً، ويوضع في قمة الكتب التي
تكتب عن سر التَّالوثِ، مع الاحتفاظ بحق وفضل المراجع التي
استند إليها واستقى منها.

دكتور / مورييس تاووضروس

أستاذ علم لاهوت العهد الجديد

بالكليات الأكليريكية ومعهد الدراسات القبطية

٢٠٠٤١٠٠٢
١٠١٠

اللاهوت المسيحي والحياة الإنسانية

**مدخل إلى
حقيقة
التَّالوثِ**